خطابُ المشهدِ السِّيَريّ مسارُ البوح.. فضاءُ الإستعادة في دموع الكتابة لباسم فرات

د .احمد شهاب احمد

وزارة التربية /الرصافة الأولى

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى البحث عن الذات ، والإنصات إلى تجلياتها ، فحين نقف عند موضوعة السيرة الذاتية فإننا نحاور المجتمع ذاته ، فنضع أسئلة لأجوبتنا التي يتوقف عليها مشروع المستقبل ؛ ولأن السيرة بوح أوّلي ومساحة غير مكتشفة للقارئ العادي سنحاول إكمال النقص بالبحث عن المسافة المفقودة ، وقد تُشكل سيرة فرد سيرة مجتمع بكامله ؛ مما يجعل الغوص في تفاصيلها وتتبع مسارات بوحها لا يقل أهمية عن الغوص في إشكال النثر الأخر كالقصة والرواية . وقد استقر الرأي أخيرا أن ندرس المشهد السيَري في دموع الكتابة لباسم فرات ؛ لما للسيرة الأدبية من أهمية في الدراسات الحديثة ، ولقد افدنا من إمكانية منهج التلقّي إذ يفيد هذا المنهج من إمكانية مناهج عديدة ، وقد أفاد البحث من مصادر عديدة منها : السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي لفيليب لوكون ، وبحث الدكتور حاتم الصكر :السيرة الذاتية النسوية والترميز القهري والكتابة ، والوجود والسيرة الذاتية في المغرب لعبد القادر الشاوي واجدين أن من المفيد أن تنقسم الدراسة على فصلين سبقتهما مقدمة وتمهيد ، أمّا الفصل الأوّل فتناول السيرة الذاتية بين الهوية، والتماهي مع الآخر، وانعقد الفصل الثاني على شعرية السفر لنتوصل إلى نتائج عديدة منها :

١- مجتمعنا على وجه العموم يعد السيرة الذاتية نوعاً من النرجسية والاستعراض وتضخيم الأنا وهو بطبيعته لا يسمح للكاتب السير ذاتي أن يبوح خارج مساحة المؤسسة .

٢- يحاول الكاتب أن ينقل الحقيقة إلى المجتمع ، والمجتمع لا يصدّق الحقيقة مع ذلك يحاول الكاتب الإصرار علي ذلك رغم انه متهم بإخفاء مساحات واسعة من الحقيقة .

Abstract

This study aims to researching for subjectivity and listening to the apparition .When you look at the subject of autobiography ,we talk to society itself and put questions to our answers that depend on our future project,and because autobiography is initial recognition and undiscovered area to the ordinary reader ,we will try to complete demerit by looking for this undiscovered area . The biography of a person may be the biography of a whole society ,and this makes diving in its details and following it has the

same importance of diving in other types of prose like :story ,novel and etc. At last we decided to study the sad autobiography for Basim Furat because of the importance of autobiography in modern studies .We got benefit from the approach of reading .The research got benefit from many resources like :the autobiography by Philip Logan and the Female Autobiography by Hatim El Segar .We found that it is important to divide this study into two chapters and an introduction .

The first chapter studies the autobiography between identity and understanding the other.The second chapter studies poetry and travel .We reached many results :1-Our society considers autobiography is a kind of Narcissism and it does not allow the writer to speak outside its area.2-The writer tries to convey the truth to the society and the latter does not believe it .However,he tries this and he is accused to hide so many things in his life.

المقدمة

السيرة الذاتية أشبه بمناخ صاف تشفّ فيه الأشياء، تُجابه فيه الذات عَبر مدار البوح ، هي هجوم صاعق على المسكوت عنه ، وحرب بالسلاح الأبيض مع التابو، ولغة السيرة عبارة عن كلمات تخرج لترسم ملامح شخصيةٍ تقترح علينا مشروعاً لحياة كاملة قادرة أن تجعل حياتنا أعمق وأجمل ، وفي هذه السيرة يُحيي الكاتب أشخاصاً ، ويقتل آخرين قتلاً معنوياً ، فهي قصة حياته ، وما يميزها عن الرواية السيرذاتية ، الميثاق وهو العقد المبرم بين الكاتب وشخصياته، وبذلك تكون الأحداث والشخصيات واقعية ، فالأحداث قد وقعت والشخصيات من الواقع ، ولا يمكن وضع تعريف جامع مانع للسيرة الأدبية ؛ كونها تقترب من أجناس أُخر كالمذكرات والرواية وللشاعر باسم فرات تجربة شعريّة غطت ربع قرن ، أيقن فيها أن الشعر ريحانة اللغة فحمله إلى عشرين بلداً، وكان للسفر تأثيرٌ إيجابيٌ في شعره وحياته ، وآمن أن هويته تزداد تميزاً كلّما ذهب إلى الآخر، وبعد مداولات عديدة مع أصدقائي من أكاديميين ، ونقاد خارج المؤسسة الأكاديمية استقر الرأي بأن ندرس المشهد السيّري في دموع الكتابة لباسم فرات ؛ لما للسيرة الأدبية من أهمية في الدراسات الحديثة لقد أفادت الدراسة من إمكانيات منهج القراءة والتلقي ، إذ يفيد هذا المنهج من إمكانات مناهج عديدة ، وبما أنّ القراءة والتلقّي تتخذ من أفق التوقع آلية مهمة تعتمد عليها في تحليل النصوص ثمة أفق قبل القراءة ، وأفق بعد القراءة ومن اصطراع الأفقين يتعدد المعنى ، ويُثرى ، وعليه لن تكون قراءتنا لدموع الكتابة نهائية ، فمازال النص مفتوحاً على التلقّي ، ولعل من الصعوبات التي اعترضت الدراسة أن باسماً لم يعمد إلى كتابة سيرة ذاتية ، وانّما اعتمد على عدة مقالات له هنا ، وهناك جمعها ؛ ليجعل منها شبه سيرة له ، تقارب مشكلات إنسان شهد حربين وحصاراً ، وخبر تفاصيل الموت العبثي ؛ لكي يتخطّى حدود الواقع ، ويصنعه من جديد ، عبر

أفق ينفتح على الرغبة في التغيير، وقد أفاد البحث من مصادر عديدة لعل أهمها : السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي فيليب لوجون وبحث الدكتور حاتم الصكر السيرة الذاتية النسوية والترميز القهري ، والكتابة والوجود السيرة الذاتية في المغرب لعبد القادر الشاوي ، وقد وجدنا من المفيد أن تنقسم البحث على مبحثين سبقهما مقدمة وتمهيد، وقد تضمن التمهيد مقاربة تتناول القراءة والتلقي وآلياتها وما يؤدي إلى تعدد المعنى ، ثم وقفنا عند سيرة مختصرة لحياة الشاعر كون هذه هي الدراسة الأولى التي تصدر عن حياة الشاعر، وقد تناول المبحث الأول السيرة لذاتية بين الهوية والتماهي مع الآخر متضمنا محورين الأول طفولة الشاعر وعلاقتها بالحزن الكربلائي عبر فضاء مشحون باليتم والفقر والموت .أمّا المحور الثاني فتضمن توزع الذات الشاعرة بين المكان العراقي والأردني ، أمّا المبحث الثاني فتناول شعرية السفر متضمناً محورين الأول: انشطار الذات بين الثبات والمغادرة ، وقف عند توزّع باسم بين الوطن الأم والمنفى ، أمّا المحور الثاني فتضمن استعادة الماضي عبر فعل الاستعاضة.

إن حياة باسم فرات المتشظية بين أكثر من عشرين بلداً لا يمكن أن تلّم بها مقاربة واحدة وتدّعي أنها وصلت إلى نتائج نهائية ، فما زالت حياته وشعره مفتوحين على التلّقي ، والمقاربة والتأويل ، فهذا النص جاء من الفضاء الكربلائي ؛ إذ يتواشج الحزن مع حياة هذه المدينة ،وانطلق إلى أحزان العالم في هيروشيما وناغازاكي وجنوب شرق آسيا والسودان،انتشر حزن باسم حتى صار قارة وعرف شعوبا ً، وحيوات كثيرة حتى تجد نصه يحمل هوياتٍ كثيرةً إلى جانب هويته العراقية .

التمهيد

١- باسم فرات : سيرة الاغتراف من عاصمة الدمع

٢ – سيرورة التلقي : وهم المعنى

١- باسم فرات : سيرة الاغتراف من عاصمة الدمع

ولد باسم فرات في آذار ١٩٦٧ في محلة السلالمة في كربلاء ، من أسرة ينتهي نسبها إلى هارون الرشيد ، قريشيّ عباسيّ ، وأمّه من بيت الهر من قبيلة أسد ، دخل مدرسة العروبة للبنين ١٩٧٣التي تقع في محلة الحيدرية ، وقد انتقلت المدرسة إلى مكان آخر قرب شركة تعليب كربلاء حيث كانت تعمل أمه ، وشاءت الأقدار أن يستشهد والد باسم في معركة جانبية دفع حياته ثمناً للدفاع عن جارته فحماها من الاغتصاب إزاء لص دخل دارها وعمر باسم سنتان ، وقد تربّى في كنف جدته ، فابتعد عن أمّه ، صار باسم يتيم الأبوين في مدينة انقسمت بين أحزانها والحرب ، وفي مدرسة العروبة ، كان باسم محبّاً لدروس اللغة العربية والتاريخ ، يحفظ بنهَم ويتفوق على أقرانه ، حتى أكمل الابتدائية ، وكان في الوقت ذاته يعمل لكي يعيل نفسه، صامت يمرّ عبر

غمامات الألم الولود ، لقد فقد باسم فرات أباه مرة ثانية باندلاع الحرب العراقية الإيرانية ، الطائرات فوقنا والشوارع كلها مفتوحة على اليتم ١٩٨٠ والحرب مع إيران تتوسع ، لقد دخل العراق الحرب ضد إيران ، والطفل باسم يرى ساحة مابين الحرمين تغص بالشهداء ، ومدينة الدمع التي بكت الحسين سنيناً صارت تبكي أحفاد الحسين ، بدأ الفتى يتراجع في دروسه ، ترى هل تنبأ بالخطر واليتم والوحشة ؟ فلقد كثر الأيتام من حوله ، لقد أوشك على الفشل ، فدخل مدرسة مهنية ولم يوفّق أيضاً ، والحرب طالت وازداد الفقراء فقراُ ، والجنوب تأخراً ، والحكومة لا همّ لها سوى إدامة عجلة الحرب ، والإنفاق على مهرجان المربد الشعريّ الذي يتم فيه دعوة أنصاف المواهب ، ممّن لا همّ لهم سوى تغيير عنوانات قصائدهم حسب ما يقتضي الحال ، وانتهت الحرب ، ودخلنا حرب الكويت ، وتجربة الحصار الإقتصادي ، وبدأ باسم يفكّر بالرحيل ، ففي ٢٣-٤- ١٩٩٣ ذهب الفتى إلى عمّان وبقي فيها أربعة أعوام ، وقد أوجع الحصار العراق ، باع العراقيون أثاث بيوتهم وذهب زوجاتهم ، أمّا الكفاءات العلمية والعقول فقد هاجرت أغلبها . ودّع الفتى الفرات والنخل وشارع المتنبّي وجسر المسيّب وأمّه وعاصمة الدمع ، وعمّان ليس بالمكان الحميم ، فالعولمة والاستثمار قد تغلغلا في تفاصيل الحياة العمانية ، فلم يظهر الفتى في الفضاء الأدبي العمّاني ، إذ إن العمل اخذ معظم وقته ، وصار يقارن بين كربلاء وعمّان ، ولم يكن يتآلف مع عمّان ، فالخير والحب والشمس هناك في بلاد مابين النهرين . وانقضت الأعوام سريعاً ليحطّ الفتى رحاله في نيوزلندا ، وصار هناك غريب الوجه واللسان ففي هذا البلد البعيد صارت عمّان هي وطنه الذي يحن إليه كالعراق ، مارثون من الغربة ، كان يتيماً ووحيداً في عاصمة الدمع وهاهو تحاصره الوحشة في البلاد البعيدة ، يضع أصابعه في الصلصال الساخن ؛ ليولد الشاعر على أرصفة المنفى ، فأصدر مجموعته الشعرية "هنا وهناك" باللغة الانكليزية عام ٢٠٠٤في نيوزلندا ، وهو أول كتاب له يترجم من العربية إلى الانكليزية فصار أحد شعراء البلد يتردد على الأماسي والمنتديات الأدبية ليشارك فيها ، وممّا أثار انتباهه في الفضاء الشعري النيوزلندي ما يحدث في القراءات الشعرية فالشاعر الشاب يُسمح له أن يقرأ قبل الشاعر الكبير، فكلهم شعراء ولا فرق بين شاعر وآخر إلّا بالشعرية ، خلاف ما نلحظه في بلاد العرب ، فالشعراء الذين يبيضون كل عام قصيدة يقرؤون أولاً وفي الإفتتاح ، أمّا الشّعراء الشباب فيقفون في الطابور، وفي عام ٢٠٠٥انفتحت على الشاعر مساحات أُخر للسفر ليضع خطوته الأولى في اليابان ، فهيرو شيما وناغا زاكي طفوف جديدة ، حيث صنع الإنسان من مأساته حضارة جديدة ، وقدم وردة لقاتله ، وفي عام ٢٠٠٨ غادر إلى جمهورية لاوس ، لكن أمه مرضت فعاد إلى العراق لرؤيتها ، وفي عام ٢٠١١ وصل إلى الاكوادور، وفي ٢٠١٤ غادرها ، لكن رغم هذه الرحلة الطويلة لم يتماه باسمُ فظل شاعراً عربياً ، يرحل بعيداً ثم يعود للعراق ، وهو مازال يحلم أن يستقر في إحدى البلاد العربية ، واستطاع في ٢٠١٥ أن يحقق حلمه فهو الآن يقيم في السودان يعمل هناك ، ويواصل مشروعه الشعري ، وباسم

إذ يستقر في السودان أخيراً يتناص مع مصطفى سعيد بطل رواية موسم الهجرة الى الشمال ، فبعد مغامرات كثيرة غزا فيها مصطفى أجساد البريطانيات ، وقتلهن في مخدع العشق ، وحكم علية بالسجن وأوشك أن يعدم ، فقد حاول مصطفى ان ينتقم لشعبه ممّا عاناه من غزو الغرب ، كان ذكياً يجيد الانكليزية كأنه ولد في لندن ، وأستاذاً متفوقاً في الاقتصاد الدولي ، ولقد عاد أخيراً ليعيش في قرية نائية في السودان ، وفي ليلة فاض فيها النيل مات غرقاً أو اختفى ، فهل عاد باسم إلى السودان لكي يلتقي مصطفى هناك ؟ أم أن باسماً هو مصطفى ؟

٢-سيرورة التلقي :وهْمُ المعنى:

ذهبت نظريات التلقي جميعُها إلى القارئ ، فما عاد الأخير يحاول الوصول الى المعنى بل ينتجه ، وذهبت إلى أبعد من ذلك إذ أوقفت العملية الإبداعية كلّها على القارئ ،فالعملية الإبداعية تعدّ ناقصة إذا لم يكملها القارئ عبر ملء فراغات النص ، فهم يروّجون لعملية الفهم الذي يلغي جميع ممارسات الفهم التاريخية السابقة ، ففي كل نص ثمة فراغ أو معنى غائب يمكن إحضاره ، وتحويل المجهول الى ملحوظ ، أوالإمساك بالمعنى الغائب وبذلك يصبح القارئ محور العملية الإبداعية إذ ((لم يظهر الاهتمام بالقارىء أو المتلقي إلاّ بعد مرحلة البنيوية والسيميائيات التي ركّزت كثيراً على النص بشكل من الأشكال ، وأقصت بشكل كليّ مفهوم المؤلف والمرجع والسياق والإحالة . وكان التركيز على النص باعتباره مجموعة من البنيات الداخلية المغلقة ، وعالماً من العلامات اللغوية والأيقونات البصرية. بيد أن النص في منظور السيميائيات أخذ حيزاً كبيراً من الاهتمام ؛ وذلك على حساب القارىء الذي اهتم به رولان بارت، وتودوروف، وأمبرطو إيكو بشكل من الأشكال. ومن ثم ، فقد جاءت نظريات القراءة في مرحلة مابعد الحداثة (١٩٦٠-١٩٨٠م) ؛ لتعيد الاعتبار للمتلقي ، بعد أن تسيّد المؤلف زمناً طويلاً))[١]ولكن المتلقّي عند آيزر وياوس وايكو وهنري فيش يبدو متميزاً وخبيراً وضمنياً ، ومرتقباً وخيالياً ، وهو الذي يقوم بإنتاج المعنى الجديد ، ونظريات القراءة مفتوحة على الأسلوبية والبنيوية والمنهج التاريخي والنفسي وكلّ معطيات المناهج الأخر، إذ يُستهدف النصُّ بكل هذه المعطيات مستعينا بآلية هي المسافة الجمالية ، وأفق التوقّع ، والإستراتيجية ، وبذلك تتحرر العملية النقدية من نير المنهجية ، فالمسافة الجمالية تعني مسافة التوتر في النص ، أو الذروة ، أو ما يكسر أفق التوقع لدى القارئ ، ومادامت نظريات القراءة تسعى إلى تعدد المعنى عبر تواتر القراءة فمن أين تنطلق؟مادامت قد أفادت من كل معطيات المناهج السابقة ، تنطلق من المجهول من المغامرة ، فمناهج ما بعد الحداثة قد تخلصت من وهم المعنى ، وذهبت إلى كل مايدفع الاسترتيجية النقدية إلى الاكتشاف والخرق والتجاوز وإثراء النص بتعدد المعنى ودخوله مرحلة الغياب ، وليست نظريات القراءة بديلاً عن المنهج التكاملي أو صورة

[١]-نظريات القراءة والتلقي :جميل حميداوي ،صحيفة المثقف عن منشورات المتوسط ميلانو،ع ١٩ ، ٢٠١٢ : ٤

طبق الأصل للمنهج الانطباعي ، إذ إن نظريات القراءة تفيد من معطيات اللغة فتردم الفجوة بين علم اللغة والنقد الأدبي ، فهي أسلوبية وبنيوية ونقد جديد ،وتفكيكية وتأويلية ونفسية تفيد مما اختفى في طبقات النص من دوافع أدت إلى ولادته . فضلاً عن ذلك فإن أفق التوقع جاء به ياوس والذي أصبح احد أهم مرتكزات النظرية المهمة ، وافق التوقع كما يراه ياوس شرط أساس لتجديد التاريخ الأدبي أي أن النص لا يمكن أن يكون مستقلاً عن الجمهور المتلقي ، ففي كل مرحلة تاريخية له تلّق معيّن يختلف عن المراحل الأخر، وذلك يضفي عليه تعددية المعنى ، إذ يصاحب ظهور النص معنى معين ، ويتعدد هذا المعنى في التلقيات القادمة ، وبذلك يمكننا أن نقول :إن للنص أفق توقع ،أي معيار معين وإن للقارئ أفق توقع آت من مجموعة القراءات والثقافة وهذان الأفقان يصطرعان ، فإذا استطاع النص أن يكسر أفق توقع القارئ ، مما يدفع القارئ الى تغيير معاييره السابقة ، نكون بذلك قد حققنا قراءة جديدة للنص ، وبذلك يقترح ياوس أفقين الأول قبل القراءة والثاني بعد القراءة ، أي أننا عندما نقرأ عبارة(شمس كربلاء) فأفق قبل القراءة اعتاد على حزن كربلاء أمّا أفق بعد القراءة فيمثله شمس كربلاء ، وكلّما انتصر أفق بعد القراءة ، وكلّما استطاع النص أن يكسر أفق القارئ كان من الدرجة الأولى أي كلّما استطاع أفق بعد القراءة أن يفاجئ أفق قبل القراءة تحققت شعريّة النص .

تُعنى نظريات التلقي بالمرجعية الذاتية بعد أن بالغت البنيوية في التركيز على النص وقتلت الكاتب ، وأهملت ما حوله من تاريخ ، وبذلك أصبحت مدرسة كونستانس الألمانية عاصمة النقد الجديدة فقد أكدت أن البنيوية تركّز على النص الأدبي أو على البنية اللسانية ، أمّا أصحاب التلقي فيعدّون البنية اللسانية من المؤثرات في فهم النص وبذلك عُنيَ امبرتو ايكو ورفرتير وفيش وولف وآيزر بالقارئ فأسموه النموذج والجامع والخبير والمرتقب والضمني ، وكل هذه الصفات تشير إلى انه قارئ واع .

يشتغل هذا المنهج من حيث الممارسة والإجراء على كتاب (دموع الكتابة) لباسم فرات ، وتودّ هذه القراءة أن تفيد مما توفر عليه من آليات . ستنفتح قراءتنا عبر القارئ الضمني ، ونعني به القارئ الكامن في ذهن المبدع ؛ ليقوم هذا القارئ بالحوار مع النص والقاء الأسئلة ، سيحمل القارئ أفق انتظاره الخاص به وسيكون للنص أفق انتظاره ، أو توقعه .

المبحث الاول : السّيرة الذاتية بين تشكّل الذات والتماهي مع لآخر: تأطير نظري

في السيرة الذاتية الى أيّ حد يمكن أن تُقدم لنا الحقيقةُ واضحة صريحة ؟ فحين نقرأ لطه حسين انه لا يذكر لهذا اليوم اسماً ، واحمد أمين في كتابه (حياتي) انه لم يذكر كل الحق[١] ، لكن الكائن السيرذاتي العربي هو ابن البوح والخيال ، يحاول أن ينقل الحقيقة في مجتمع لا يصدّق

[١] -السيرة تاريخ وفن : ماهر حسن فهمي ،مكتبة النهضة المصرية ،ط١ ، ١٩٧٠ :٢٣٩

الحقيقة ، فمهما حاول ذلك فهو متهم بإخفاء مساحات واسعة من المسكوت عنه ، وإذا ما حاول أن يكون جريئاً على البوح ، في مجتمع يحتجّ كثيراً على البوح ، فسيبدو الكائن معزولاً ، فيضطر أن يبوح بما هو مرضيّ عنه ؛ وبذلك يظل الكائن السير ذاتي العربي رهين مجتمع الفطرة والخرافة ، ويبدو أن وقائع الحياة التي يحاول أن يتذكرها الكائن ، ويصوغها عبر قناة الخيال يجب أن تتساوق والفكر الاجتماعي السائد وأغلب هذا الفكر أرسته المؤسسة ، وبذلك يكون الكائن السير ذاتي أمام متلقٍ لم يتبلور تماماً ؛ أي لم ينتقل إلى المرحلة التي يمكن أن يكون فيها أرضاً صالحةً ، لكشف المسكوت عنه ، لكي تكون السيرة حكاية الحقيقة ، وكلّما كان المجتمع وفق هذا التصوّر، يمنح النص السير ذاتي نفسه لقراءات متعددة ، وفق نظرية استجابة القارئ ، وهي عملية إنتاج القارئ للنص ، وملء فراغاته ، وإذا كانت السيرة الذاتية تُبنى على أحداث يقوم بها شخص أو عدة شخوص أخذتهم الذاكرة من الواقع وأعملت فيهم الخيال وكانت أداتها معطيات اللغة من مجاز وسرد وبلاغة أُسلوب ، ممّا يجعل هذه الشخصية لا تشبه تلك التي كانت في الواقع ، فإن المتلقي هنا يفترض أن يكون هو أيضاً قد خرج إلى المرحلة التي تمكّنه من إعادة إنتاج النص ،ومجتمعنا على –وجه العموم– يعدّ السيرة الذاتية نوعاً من النرجسية والاستعراض وتضخيم الأنا ، وهو بطبيعته لا يسمح للكائن السيري أن يبوح خارج مساحة المؤسسة ، أو يدلي من الآراء والأقوال (ما يصدم العقل المشترك أو الفكر السائد)[١] فالفكر السائد يهمّش الكائن السيري حتى يصوغ ماضيه بالطريقة التي تريدها المؤسسة ، وعليه سيواجه الكاتب هنا مسألتين: الأولى عوائق المؤسسة ، والثانية ((الماضي الذي يعزّ على الاستعادة رغم استنفار عمليات الذاكرة ومساراتها في الاستحضار والنقل،لتفعل فعلها وتؤلف قصة حياة))[٢]وبما إن أحداث الماضي العالقة في الذاكرة قابلة للنسيان ، فالحدث يطفو على سطح الذاكرة حسب أهميته ، سوف يستعيد الكائن السيري الأحداث المهمة ، فإذا كانت هذه الأحداث جريئة وصادمة ومتمرّدة ومتجاوزة ومغامرة ، في مجتمع كالذي وصفناه ، يصبح الكاتب أمام خيارين إمّا إخفاء هذه الأحداث ، وشطبها من السيرة والتماهي مع الفكر السائد وإمّا الإبقاء عليها لتواجه المجتمع بالسلاح الأبيض ، فهل تعدّ السيرة الذاتية سيرة بهذا المعنى إذا ما مُورس عليها الحذف والشطب ؟ وإذا كانت السيرة في أوضح تعريفاتها هي ((حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص ؛ وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة))[٣] نلحظ عبارة (يركز على حياته الشخصية) بمعنى أنّ ثمة شخصٍ يقوم بكتابة قصة حياته على أن يُبرم عقد بين المؤلف والقارئ ؛

---

[١]-خطاب الهوية سيرة فكرية :علي حرب،الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط٢بيروت لبنان٢٠٠٨: ١١

[٢]-السيرة الذاتية النسوية البوح والترميز القهري :حاتم الصكر متاح على النترنيت www.hatemalsagr.net/index.php?action=showDetails&id

[٣]-السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي: فيليب لوجون ترجمة عمر حلي، المركز الثقافي العربي ،بيروت ١٩٩٤: ٢١

لتأكيد التطابق بين المؤلف والبطل ، فالسيرة على هذا الأساس تصير اعترافاً ، والشخوص حقيقيون والأحداث حقيقية ، وان أيّة عملية شطب أو حك أو الهروب إلى الرواية السير ذاتية أو القصيدة السير ذاتية هو نقض للعقد المبرم ؛ ذلك أن الشعرية ، والسرد ، والمجاز والاختفاء خلف أسماء في الرواية يضيّع قضية التطابق بين المؤلف والبطل ، أي يُضيع الميثاق السير ذاتي ؛ لذلك نجد كاتب السيرة يتحرى الصدق ، ولم يتوقف كُتّاب السيرة عند تعريف فيليب لوجون ولم يتوقف هو ذاته ، إذ أدخل في الآونة الأخيرة المذكرات والرسائل والانترنيت والرسوم المتحركة ضمن حدود السيرة، ورأى لوجون أن بإمكان أي شخص أن يدوّن سيرته الذاتية [1] ، ولا يكون ذلك حكراً على الكتّاب ، وفي السيرة الذاتية يفترض أن نرى ذاتنا الحقيقية ، فنرسيس عندما حدّق في الماء لم ير غير صورته ، وشمشون عندما فقد جدائله لم تُعوضه أية قوة في الدنيا ،والنار لاتذكرنا إلّا ببرومثيوس ، ووفق هذا التصور تصبح السيرة الذاتية صورة طبق الأصل للكاتب لذلك كان صاحب" الخبز الحافي" محمد شكري، يصدمنا حين يمارس الجنس مع عنز((رغبتي الجنسية تتهيج كل يوم الدجاجة العنزة الكلبة))[2]ولم يتردد عبد الستار ناصر أن يخبرنا بعشق احد المعلمين لأمه الجميلة، ثمة سيرٌ كثيرة تغفل مسألة الجسد ، وتضعها دائماً في خانة المسكوت عنه ، خوفاً من الكابح الاجتماعي ؛ وبذلك يكون الكائن السيرذاتي فاقداً حريته في البوح ، فثمة مناطق يفصلها الخط الأحمر لا يجوز الاقتراب منها كالدين والسياسة والجنس، ولا تسمح للكائن السيرذاتي أن يفتح مساراً للبوح إليها ، ولا يستطيع أن يحدد موقفه من الله أو من الحاكم أو من جسده المقموع ، وقد تكون ثمة استثناءات في السيرة العربية استطاعت أن تبوح كما فعل صلاح عبد الصبور في(حياتي في الشعر) إذ يظهر الكائن السير ذاتي في حالة تصادم مع الله ولم يصطلح معه إلّا في مرحلة متأخرة من السيرة ، وفي حوار أجرته مجلة عيون مع الشاعر العربي أدونيس استغرق (٤٩) صفحة تناول جوانب مختلفة من حياته لم يتكلم عن جسده إلاّ ببضعة أسطر((وبدأت باكراً باكتشاف جسدي في العاشرة أو الثالثة عشرة حيث تلقنت درسي الأوّل في كيفية اللقاء بين ذكر وأنثى كان ذلك ليلاً في واد صغير وراء القرية وهي التي أخذتني إليه ، وبعد هذا الحدث صرت أحياناً أدعك جسدي بأعشاب الأرض وألامسها كأنني ألامس جسد امرأة))[3] ولا نعني بذلك أن تكون السيرة كلها حديث في الآيروس ، والخوض في مساحات واسعة للجسد المقموع ، لكن الكائن السير ذاتي العربي يكاد يتجاهل هذه المساحة ، أو يعبر عليها سريعاً كأنها تابو ، وفي قصتي مع الشعر لم يقترب نزار قباني من هذا التابو إلّا بمقدار ما اقترب أدونيس نقرأ لنزار((وفي تاريخ الأسرة حادثة استشهاد مثيرة سببها العشق هي أختي الكبرى وصال،قتلت نفسها بكل بساطة وبشاعرية منقطعة

---

[1]- حوار مع فليب لوكون نقلا عن االسيرة الذاتية النسوية :حاتم الصكر متاح على الانتلرنيت www.hatemalsagr.net/index.php?action=showDetails&id

[2] ـ الخبز الحافي : محمد شكري ،دار الساقي، ط١١، بيروت ٢٠١٠ :٣٣

[3]ـ حوار مع أدونيس :مار كريت وابناك مجلة عيون ،ع٦ منشورات دار الجمل ١٩٩٨: ٨٨

النظير؛ لأنها لم تستطع أن تتزوج حبيبها))[١]،وقد يكون الشاعر هنا جريئاً وهو يعلن عن انتحار أخته ؛ لأنّ أهلها منعوها من زواج حبيبها خاصة وان عائلة الشاعر من العوائل الدمشقية الكبيرة والأصيلة ، وموت وصال بهذا الشكل –رغم أن الشاعر يُعده بطولة– يسئ كثيراً الى سمعته ، وكان يمكن أن تظل القصة محصورة في حي الشاغور في دمشق ، إلاّ أن نزاراً نقلها الى العالم العربي عَبر سيرته ، وظل الكائن السيرذاتي لا يقترب مما شابه ذلك إلاّ قليلاً بسبب الكابح الاجتماعي ولم تتطرق السيرة الى بطل قصيدة (حبلى) ؛ لأن الشاعر نفى عن نفسه بطولة القصيدة ، والكابح الاجتماعي ذاته يعتم على سيرة محمد القيسي الموسومة ب((الموقد واللهب حياتي في القصيدة)) فلا يقترب في قليل أو كثير من التابو الذي ذكرناه ((أيّ حياة بلا كلمات ، بلا حريتها ، من يقول إذن نكهة الهواء ، ويرسي دعائم الوردة ؟وايّ روح تظل تجوب ، وتنزع أشياءها ولا من رداء غير الصدى ، أفق يموج فيك ، ولا يردعك غيٌّ أو خوف))[٢]والحقيقة أن الخوف والغي قد ردعاه عن الاقتراب من الأيروس ، لكن لم يمنعه من التوغل بمساحات واسعة فيه في روايته (الحديقة السريّة) التي كشفت عن علاقات أيروسية مع نساء عراقيات الى الحد الذي دفع وزارة الثقافة والإعلام الى إلغاء دعوته الى مهرجان المربد ؛ ذلك أن روايته هذه تتقنع بأسماء وأحداث يستطيع فيها الكائن السير ذاتي أن ينفي التهمة عن نفسه ، وكان ممكناً أن نقرأ أحداث الرواية في سيرته. بدلاً من أن نقرأها في رواية سيرذاتية ، ففي الرواية يستطيع الكاتب أن يتخطى الكابح الاجتماعي؛ ذلك أنّ الرواية لا تشترط الميثاق السيرذاتي ، وبذلك إذا استطاعت السيرة الذاتية أن تغطي المساحة الواقعة بين التابو والكابح الاجتماعي وتتخطى الكابح الاجتماعي ،وتعرض لنا صورة نرسيس كما هي ، يكون الكائن السيرذاتي العربي ، قد قام بمنجز يعادل ماقامت به الثورات العظيمة في العالم ، الثورة الصناعية ، والأنترنيت ، وركوب الفضاء ، فهل كان باسم فرات كذلك ؟هل اقترب من التابو ؟ وأين كان ذلك في سيرته (دموع الكتابة) وللوقوف على ذلك من خلال المشهد السّيري ومسارات البوح وجدنا أن ينقسم المبحث الاول على محورين:

المحورالأول : الطفولة المزمنة : فضاء الحزن الكربلائي

المحورالثاني : توزّع الكائن بين عالمين : الالتباس بالمكان

المحورالأول : الطفولة المزمنة : فضاء الحزن الكربلائي :

السيرة الذاتية شبيهة بالمرآة العاكسة للصورة [٣]، ولابدّ لها من مجتمع قطع مراحل طويلة في الوعي ، وإذا كان الأمر غير ذلك فلا يمكن للسيرة الذاتية أن تكون ولادتها طبيعية ، وعلى أية حال

[١]- قصتي مع الشعر :نزار قباني ،منشورات نزار قباني بيروت ط٥: ٢٠

[٢]-الموقد واللهب: محمد القيسي ، منشورات وزارة الثقافة الأردنية ط١ ،١٩٩٤ : ٧

[٣]- ينظر الكتابة والوجود، السيرة الذاتية في المغرب: عبد القادر الشاوي ، افرقيا الشرق ،٢٠٠٠: ١٢

فإن المجتمع العراقي وعلى وجه الخصوص الكربلائي لم يحقق انفتاحاً على الآخر ، فالمجتمع المتدين وكذلك وجود الحرمين ، ومعظم مراقد آل البيت رضي الله عنهم وأرضاهم ،سوف تحول دون أن يأخذ مسار البوح لدى باسم وجهته الطبيعية ، وإذا كانت السيرة هي البحث عن الذات ، فإن هذه الذات سوف تخشى الإقتراب من أماكن التابو وتختفي في أحيان كثيرة خلف المسكوت عنه ، لكن الذي منح الكائن السيرذاتي قدرة جديدة عل البوح والاستعادة خروجه من المدينة المقدّسة الى أماكن مختلفة الثقافة في العالم ، الأردن ، ونيوزلندة ، وجنوب شرق آسيا ، ممّا دفعه الى نوع آخر من الكتابة يفضي الى الرغبة في التجاوز[١] ، وقد ظل ذلك الطفل الكربلائي يلاحقه في كل مكان ، والطفولة مهد الأحلام وبؤرة الحياة ، وما لإنسان قدرة على العيش بدون تلك الظاهرة الطفولية التي شكّلت في مجملها مستقبله ، وواقع حياته[٢] ، ونستطيع أن نزعم أن ذلك الطفل الذي طلع من أحد بيوتات قرب ساحة الحرمين في كربلاء قد تلبّس كل حياة باسم فيما بعد(في السابعة من عمري عملت خبّازاً .....أنهض حيث الأطفال ممن هم في عمري وأكبر في أسرتهم يغطون في نوم عميق ،بل حتى الكبار، وكانت مهنتي حمل قطع العجين الدائرية المعدة للشواء من يدي العجان أو طاولته الصغيرة الى طاولة كبيرة خاصة ، ومن ثم حمل قطع العجين من نفس الطاولة ولكن من جهتها المقابلة أي القطع الأقدم الى الخباز ليتم خبزها وكنت ضعيفاً وناعماً ، وكان الخباز الذي لم أر مثله في حياتي سرعة في الخبز يستحثني على اللحاق به ، متعته الرئيسية في ضربي بكفه العملاقة على رقبتي)[٣] طفولة يلفحها لهب التنانير من الفجر حتى نهاية النهار، يقدم لنا هذا النص مساحة كافية لنسجل حاجة الطفل الى النوم ، إذ طالما غبط أقرانه وهم يغطون في نوم عميق ، واعتاد الكائن السير ذاتي أن يصحو مبكراً في مراحل متقدمة من عمره ، فإذا حدث وتأخر في النهوض ظل يلوم نفسه على إضاعته نصف النهار((إن مرحلة الطفولة هي المرحلة الأكثر أهمية في حياة الإنسان إذ تأخذ مراحلها المتعددة ما نسبته الثلث الى الربع من حياته ، في المعدل العام للسن البشري ، عدا أنها أكثر المراحل تخزيناً للأحداث والمواقف والذكريات التي يمرّ بها))[٤] ثمة وجود تخلقه الكتابة التي أخذت هذا المخزون من الذاكرة الطفولية وحولته الى معنى وقيمة يولد منها الكائن السيرذاتي ، وأعني الكتابة التي تحدث في الزمن الحاضر البعيد عن أحداث السيرة التي وقعت بين ولادة الكائن السيرذاتي ١٩٦٧ الى ١٩٨٥ إذ حسمت هذه المدة الزمنية معظم الأحداث التي وقعت لباسم، وهي موت والده ، عيشه في كنف جدته يتيماً ، إبعاده عن أمه، الحِرَف القاسية التي عمل فيها ، العسكرية ،إذ إن الكتابة تشتغل على هذه

---

[١]- ينظر تحليل الخطاب النقدي المغامر: أحمد شهاب، عالم الكتب الحديث ، اربد الاردن، ط١ ٢٠١٥: ٩٠

[٢]- ينظر الشاعر وذاكرة الطفل في الشعر العربي الحديث :عمر أحمد الربيحات اطروحة دكتوراه بإشراف سامح الرواشدة كلية الآداب جامعة مؤتة، ٢٠١٠ : ٤

[٣]-دموع الكتابة :باسم فرات ،دار الحضارة، القاهرة ، ط ، ٢٠١٤ : ٢٩، ٣٠

[٤]-الشاعر وذاكرة الطفل في الشعر العربي الحديث :٤

الأحداث بعد مضي وقت طويل على وقوعها ، وغاية الاتصال بهذه الأحداث التي جرت في الطفولة هي محاكمة الوقائع والأشخاص الذين تسببوا في مأساة الذات الساردة :

١- صاحب الفرن : لم تنس الذات الساردة صاحب الفرن ويده التي تمتد إليها بالضرب على رقبتها ففي ٣١-٧-٢٠١٥ أقام نادي السرد في اتحاد أدباء العراق جلسة لباسم فكان يحرك رقبته دون وعي ، فلم تزل الآثار النفسية مستمرة تحرث أرض الذاكرة ((حاولت مراراً أن الحق به لكي أتجنب يده القاسية التي كانت تترك أثراً وألماً في رقبتي لازمني حتى اليوم لكن كلّ محاولاتي باءت بالفشل))[١] يمكن أن نلحظ الدالين (أثراً وألماً) كيف سيوسعان حدود الكتابة فيما بعد باتجاه التجاوز والمغامرة والإقتراب من (التابو) نقرأ((وارى أطفالاً يذهبون الى مدارسهم .....في أي صف أنتم؟ ويأتي الجواب في الأول الابتدائي فيحضرني قول أبي العلاء هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على احد ، وحتى هذه اللحظة لم أجن ، أبتعدُ عن الأطفال وأنا أردد مع نفسي كأني أخاطبهم : صباحات طفولتي المبكرة قضيتها بين لهيب نيران تنانير الخبز وصفعات معلمي))[٢] هذا حوار بكر مع اللاشئ مع اليتم والوحشة والتهميش ، والظرف المكاني (بين)غواية لاستدراج الوجع ، فبين المعلم ونار التنور نار أخرى توقدها الكتابة في أتون الكائن السير ذاتي ،منفتحاً على فضاء الحزن الكربلائي .

٢- الأكفان : خصوصية خطاب الموت

لقد سُلّط الموت على المكان Space تسليطاً ميتافيزيقياً وما عاد للإنسان قدرة على تحجيمه ، إذ ظل يرغب بالتحرر من دائرة الفناء ، أو التخفيف من وطأته بالتديّن أحيانا ، وبالفن أحيانا أخر والإنسان قد لا يدرك أن في الموت خيراً عظيماً ذلك الذي يلقاه الناس بالجزع[٣]، إلاّ أنّ الإنسان يخاف من المجهول والموت هو عبارة عن مجهول ، ولقد كانت مرافقة الموت للكائن السّيَري مبكرة فقد قتل والده وهو يدافع عن جارته ((تنبهت مبكراً إلى يتمي لاحظت وأنا ابن ثلاثة سنوات أو أكثر قليلاً أقراني ومن هم أكبر مني أو أصغر ينادون بكلمتين لا استعملهما وهما أبي و أمي)) [٤] تكشف الإستعادة هنا عن خصوصية البوح وعطش طفولي إلى الأبوين ، مما يشير إلى مستويات عميقة من الحرمان لتتشكل عند باسم فرات خصوصية خطاب الموت وتمظهر تطوره الدلالي((كنت كلّما رأيت أطفالاً مع أمهم وأبيهم بلاوعي مني تحسّرت ولطالما نزلت دموعي أينما كنت))[٥] تشير أداة الشرط(كلّما) إلى تكرار عملية البكاء الناتجة عن غياب الأبوين ، ولملء فراغات هذا النص

---

[١] ـ دموع الكتابة : ٣٠
[٢] م.ن : ٣٠
[٣] ـ ينظر محاورات افلاطون: عرّبها عن الانكليزية زكي نجيب محمود ،لجنة التاليف والترجمة والنشر،القاهرة ١٩٦٦: ٦٢
[٤] ـدموع الكتابة :٧٥
[٥] ـ م.ن :٧٥

تشير ظاهرة نزول الدموع إلى فراغ لم يملأه أحد ، وطفولة باسم هي بداية مأساته لقد رُميت هذه الطفولة في صحراء ملتهبة ، وصار منذ زمن مبكر يعامل معاملة الرجال ، ويحرم من نوم الصباح ، ويتعرض لأخطار العمل ، وما عاد ثمة طفولة، وكُتب على الطفل باسم ، أن يتعرّف على أحزان مدينته من خلال حزنه ((كانت مدينتي المحطة الأخيرة لتوابيت العراقيين وهي تتجه للنجف حيث تدفن في مقبرة السلام قريباً من مقام ضريح الإمام علي.....كانت هذه التوابيت مصدراً مهما من مصادر هاجسي اليومي للموت)) [١]يفتتح باسم كلامه عن الموت بكانت مدينتي المحطة الأخيرة للجثامين وهي عبارة شديدة الألم أن تصبح مدينته آخر محطة للموتى أو حاضنة للحزن، ولا يسجل المشهد السيري هنا تصاعداً دلالياً سوى التماهي بالحزن وكأن الحزن من مقدرات مدينته منذ (الطف)مروراً بعام ١٩٧٩، إذ بدأت تصفية الأحزاب المعارضة تمهيداً لحرب إيران، ويتضح من خلال القراءة أن المهيمن الأسلوبي على المشهد السيري هو التقرير((مدينتي المحطة الأخيرة ،أو كانت هذه التوابيت مصدراً) وما عاد باسم اليتيم الوحيد ،فلقد امتلأت المدينة بالأيتام ، لكن اليافطات المخطوطة على الشوارع والطرقات ((استشهد في قاطع المرارات والعويل المكتوم يخرج من بعض البيوت)) [٢]ظلت تذكره بمأساته ، ويستمر الكائن السيري بممارسة الالتفات والاستعادة لمأساة موت والده إذ تتحول ساحة الحرمين الى حيز أو فضاء للاسترجاع ((كنت أعمل في استوديو الفنون جنوب مركز المدينة بينما بيتنا في شمال مركزها فكان علي أن اقطع الساحة التي تقع بين مقامي شهداء معركة الطف والتي يطلق عليها ساحة الحرمين يومياً أربع مرات صباحاً وظهراً وعصراً وليلاً فكنت مجبراً على رؤية التوابيت الموشحة بعلم البلاد)[٣]فنجد طيلة زمن الطفولة بؤرة دلالية مشعة واحدة هي الموت(هذه الحرب لن تنتهي إلا بقتلي))[٤]ونلحظ في مرحلة الطفولة التي يصفها هذه معجماً دلالياً واحداً مثل (الحرب ، والموت،والتوابيت ، والمقبرة ، والجثمان،والمرقد،والحزن ، والأنين ، والدموع ، والعنف) فلقد صار فضاء الموت امتداداً لطفولته الموحشة ، وهذا ما يبرر تجوال باسم فرات في العالم فهو ما أن يقيم في مدينة سنة أو سنتين ، حتى يغادر الى أخرى ، ولكن المكان الكر بلائي ظل يلاحقه((أنا المليء بالفقد والغربة والحنين والحزن وذكريات الحرب والعسكرية ومشاهد معدومين)) [٥]،ونلحظ انه يبدأ دائماً بجمل تقريرية :هذه الحرب لن تنتهي، وكأن هذه الحرب لاتنتهي أبداً فقد صارت غذاء المدينة اليومي ، ليكتمل النسيج البنائي والدلالي لمرحلة الطفولة التي بدأت بقتل أبيه وهذا الحادث جعل طفولة الكائن السيري

[١] ـ دموع الكتابة :٧٦
[٢] ـم.ن :٧٧
[٣] ـم. ن: ٧٨
[٤] ـدموع الكتابة :٨٧
[٥] م،ن :١٧٣

مارثوناً من اليتم والحرمان والصمت ، منفتحاً على فضاء آخر من اليتم الذي أفرزته الحرب العراقية الإيرانية إذ فقد الآلاف آباءهم .

٣- العمل حذاءً : الالتحام بأقاصي الذاكرة

يحاول الكائن السيرذاتي إضاءة المساحة الحيوية التي تؤدي الى التابو الى المنطقة المحظورة ؛ ليفتح الحوار مع جمالية التلقي،إذ يبحث المتلقي أيضا عن ذاته في النص السير ذاتي وعبر إضاءة المساحة تجري المحاكمة ويقوم الكائن السير ذاتي بالاقتصاص ممن نصبوا خيمة مأساته ،عبر ((أفق الانتظار الذي تتحرك في ضوئه الانحرافات أو الانزياح عمّا هو مألوف))[١]فالعنوان (العمل حذّاءً) يؤدي الى خيبة توقّع، لكن الكائن السير ذاتي يودّ أن يحاكم مرحلة بكاملها ؛ ذلك أن المحاكمة بالحروف هي اشدّ من المحاكمة بالرصاص ، إذ أصبح تأريخ الكتابة تشكلهُ ردود أفعالنا وخبرتنا الجمالية[٢] ، ((بعد نجاحي من الثاني الى الثالث الابتدائي أخذتني جدتي لحذّاء هو صديق والدي وقالت له : هذا باسم ابن المرحوم حمودي لا أريده أن يختلط بالأطفال كي لا يفسد ممكن يعمل عندك ؟))[٣]يمكننا أن نزعم هنا أنّ الكائن السير ذاتي أراد أن يحاكم جدّته بادئاً إذ من المفترض أن يتمتع الطفل بعطلته ، لا أن يذهب الى دكان الحذّاء ، وتبدو عبارة(ابن المرحوم حمودي) عالقة في أقاصي الذاكرة إذ إن لفظة المرحوم اقل وطأة من المتوفي او الراحل ويرى الدكتور عبد السلام مساوي أن العرب يستبدلون بالميت المغفور له أو المرحوم ((ففي أحوال التعبير عن موت عزيز صاغ الوجدان العربي الجماعي تراكيب تهوّن هول الحدث بل تجعله أحيانا أمراً عادياً أو أمراً مرغوباً فيه من مثل ، فلان في ذمة الله أو التحق بالرفيق الأعلى))[٤]وأهل كربلاء يسمون الشهيد مسعداً((أخذتني جدتي لأبي إلى صديق والدي وكان يعمل حذّاءً وقالت له : هذا ابن المُسعد)) [٥]ونستطيع أن نجمع خيوط دلالية أخر، هو أن باسماً كان يحاكم أشخاصاً آخرين تسبّبوا في مأساته وذاق منهم الأمرين ،ومن هؤلاء السيّد محسن صديق ولقب (السيّد) لا يُمنح إلاّ لمن يمتّ بقرابة للرسول ، إلاّ أنّ السيد كان زير نساء ((جرح أصبت به نتيجة وجود مرآة مدببة في نهايتها كأنها سهم وغير ملصقة بالجدار عمودياً بل منحنية على الأرض قليلاً لتسهل رؤية النساء القادمات من الخلف))[٦] نلحظ الكائن السيرذاتي هنا يستغرق كثيراً في كشف مساحات المسكوت عنه وقد أفاد من السينما إذ ركز(باسم) كامرته موغلاً في شرح الجزئيات فالمدينة كلّها (تابو) ولم يستطع أحد أن يوغل في البوح كما تفعل الذات الساردة ونستطيع أن نزعم أن الملفوظ النصي لدى

---

[١]- نظرية التلقي : بشرى موسى صالح ،المركز الثقافي العربي الدار البيضاء ،ط١ المغرب ٢٠٠١،: ٤٦

[٢] ينظر تأثير جمالية التلقي الالمانية في النقد الادبي :على بخوش متاح على الانترنيتjmalyat_atalaqi_alalmanya.p

[٣]-دموع الكتابة :٣١

[٤]- الموت المتخيل في شعر أدونيس : عبد السلام المساوي ، دار النابة ط١ دمشق ٢٠١٣ : ١٤

[٥]- دموع الكتابة :١١

[٦]- م.ن :٣٢

باسم فرات والذي تعنى به نظريات القراءة، يختزن الكثير مما شابه ذلك ، لكن الذات الساردة تتماهى أحيانا مع المجتمع المتديّن ، فتُقمط مساحة البوح إلّا أن النصّ أعلاه ستراتيجي ينفتح على مستويات للمعنى لا حصر لها في هذا المضمار، مما يتوقع أن الذات الساردة إذا ما تهيأ لها فرصة أخرى لكتابة سيرة أخرى تستطيع أن تنفتح على آفاق جديدة من البوح ، وعلى جو قادر على المواجهة ،ويسمي الهزيمة ويشير الى المهزومين ، قد يدفع ثمنا أو بالأحرى يجب أن يدفع ثمنا [١] ، وإذا كانت السيرة الذاتية ((تعتمد على ما تختزنه الذاكرة وتحيل على واقع مرجعي له وجوده الحقيقي))[٢] فلا يجوز على الإطلاق اختزال هذا المخزون ، كون السيرة تهدف الى معرفة الذات ، وقد تتجاوز ذلك بقليل لمعرفة ذات شعب ما ، إلّا أنّ الكائن السير ذاتي العربي لا يستطيع المواجهة أو ممارسة البوح الجريء ،مثلما فعلت فرجينيا ولف عندما أعلنت أن أخاها دمرّ حياتها ، ملمحة الى الزنى بالمحارم، مما أدى ذلك الى انتحارها ، وعليه نستطيع القول إن باسم فرات استطاع الاقتراب من التابو أو المحرّم لكن الى حد ما ، فالكابح الاجتماعي مازال يترك ظلاله على سيرته ويترك فراغات لم تُملأ.

المحور الثاني : توزّع الكائن بين عالمين : الالتباس بالمكان

١- جسرُ المسيّب:

يستطيع المتخيَّل أن يستعيد ما كان واقعاً،[٣]فقد يغادر الكائن السير ذاتي المكان أو يهجره لدواعي وبواعث قسرية ،والهجرة: قوّتان تصطرعان في مكان ما فتضطر إحدى القوتين الى النزوح، والكائن السير ذاتي عندما ينزح عن المكان الأُم مجبراً الى المكان الجديد مهما كانت مكاسبه ومميزاته يظل يتوقُ الى مكانه القديم ، يتحول ذلك المكان الى يوتيبيا ،وبذلك يأتي المتخيّل على أشياء المكان ، ويصوغها بطريقة حميمة((ما إن اجتزت الحدود في الثالث والعشرين من نيسان ١٩٩٣متوجهاً لعمّان في خروج استهلك النصف الثاني من عشريناتي وثلاثيناتي كلّها والنصف الأوّل من أربعيناتي ٦٥٩٩ يوماً بعيداً عن النخلة والفراتين ، وبغداد حتى اجتاحني الحنين للعراق ، ولكن مكاناً واحداً بقي يشكّل حلماً في مخيلتي وأمنياتي هو جسر المسيّب قرب سدة الهندية))[٤] ،العلامات المكانية : النخلة ، الفراتين ، بغداد ،تستطيع تخليق حميمية المكان ،واستحواذه على المتخيل السردي كما أنّ الدال (استهلك) يشير الى عدائية المكان العمّاني ، فالبعد عن المكان العراقي استهلك الكثير من عمره ،أربع سنوات ، كان الزمن العمّاني قد حاك خيوط الغربة والوحشة والعمل الطويل فلم يتسن لباسم أن يزور رابطة الأدباء الأردنيين ، أو يشارك في نشاط أدبي ،

[١]-ينظر رسالة كتبها عبد الرحمن منيف الى فيصل درّاج ، ضمن كتاب عبد الرحمن منيف ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١، عمان، ٢٠٠٩: ١٠

[٢]- المعرفة وكتابة السيرة : يمنى العيد ضمن، كتاب عبد الرحمن منيف ٢٠٠٩: ٢٠٨

[٣]- ينظرالمعرفة وكتابة السيرة عند عبد الرحمن منيف :يمنى العيد من كتاب عبد الرحمن منيف ٢٠٠٨: ٢١٩

[٤]- دموع الكتابة: ١٢١

ونلحظ الدوال (اجتزت ،خروج ، اجتاحني) وقد تقاسمتها جمالية العنف ،مما يخيب ظن المتلقي ، فلماذا يجتاز ويخرج مادام المكان العمّاني هو الخلاص ؟فقد كان باسم يتوهّم فعمان مكان طارد لا عمل فيه ولاشئ مما يتوقعه القادم إليها ،إنها مدينة قليلة الموارد ، يذهب إليها العراقيون متخذينها محطة قبل النزوح الى دول أخر، وقد كان المكان العماني نشيداً مأساوياً في رواية حارس المدينة لإبراهيم نصر الله ،إذ يستيقظ بطل الرواية (سعيد) وقد اختفى سكان عمّان جميعهم ، لقد اختفى مليون ونصف ،وبقي سعيد وحده في المدينة،وما هذا الإختفاء الاّ غياب الإنسان ،وحضور الروبوت / إنسان العولمة شاهداً على عدائية المكان،وصار المكان السير ذاتي العراقي مكاناً أليفا ونسي الكائن السيرذاتي البواعث المؤلمة التي دفعته الى تركه ،فلقد عبر جسوراً كثيرة في اليابان وشرق آسيا وأمريكا وظل (جسر المسيب) يلمع في الذاكرة (كم كنت أتمنى الوقوف على جسر المسيب وتأمل نهر الفرات.....كل جسر عبرته كنت استحضر جسري الفراتي هذا)[١] يعدّ الجسر من الأماكن الواصلة كالزورق والسفينة ويعدّ أيضا من الأماكن القلقة ؛ أي لا تدوم إقامة الإنسان فيها وان كان تذكّر باسم للجسر يشير الى محمول رومانسي إلاّ انه مهيمن دلالي يرسم حركة التفات الى أشياء الطفولة، الصورة الأولى للجسر، والكلمة الأولى التي انطبعت في الذهن ، فهنا تعلّم الكائن اللغة ، ورأى النور ،وأحبّ واشتاق ؛لذلك تظلّ هذه الأشياء قريبة وحميمة (بقيت علاقتي بالجسور على وهجها كل نهر أعبره أتأمله بدهشة حتى لو أنني عبرته عشرات المرات دهشة العبور الأولى ذاتها)[٢] فكل جسر عبره (باسم) هو جسر المسيّب وكل نهر تأمله هو الفرات فثمة استرجاع ومحاولة إستعادة العبور الأوّل والدهشة الأولى،لعلّه يستعيد الموقف الحسيّ ذاته ، ولاشك أنّ موقف باسم هذا هوامتداد لمواقف وطقوس إسلامية وعلى وجه التحديد ما يمارسه الشيعة من صلاة بعد صلاة المغرب وهي صلاة (الغفيلة) يكثرون فيها الدعاء، وهذه الصلاة وقتها بين المغرب والعشاء ،وهو الوقت الذي تاب الله فيه على آدم فيحاولون استعادة لحظة التوبة ، وكذلك سائر المذاهب الإسلامية تعد المغرب وقتاً يُستجاب فيه الدعاء ،وتوحي دهشة الكائن السير ذاتي وهو يعبر الجسور بدهشة مضمرة لعبور الفرات ،ومحاولة لممارسة العبور الأول ،انه طقس عبوري يمارسه من عانى النفي والهجرة والتهجير ،والفقد وبذلك نستطيع القول إن كربلاء التي اكتشفها في طفولته غطى حزنها العالم كلّه((..وانصهرَ بالهم الإنساني فأصبحت كربلاؤه في كل مكان وصار قلبه يهجس أنين المارة وأصوات الكسبة كما لو هو ذاته حين كان يضربه المعلم بالعصا لأنه لم يَحلق شعره،أو لم يحضر وليَّ أمره الذي لاوجود له ، فكيف يحضر غائب))[٣] ،الشطوط والأنهار والجسور والباعة والكسبة ينتقلون إليه في المكان الجديد.المكان يهاجر إلى صاحبه في الأماكن

[١] ـدموع الكتابة :١٢١
[٢] ـدموع الكتابة :١٢٢
[٣] ـم. ن :١٧٤،١٧٣

النائية ،وبذلك نستطيع أن نستنتج أنّ الكائن سكن المكان الكربلائي منذ هَجَره ،والتبس به منذ عبوره الحدود الى الأردن عام ،١٩٩٣وظل يلتفت الى تلك البقعة الحزينة كربلاء ((فالشمس تحبُّ دروب مايا))[١]

٢-الماء : فضاء التقلّب وعدم الاستقرار

يُعد الماء من الأماكن المتقلبة غير الثابتة ، فهو مرة بحر، وأخرى مطر وتارة فاكهة، وأخرى منجمد كالثلج وغازي كالضباب ،ومثال على تقلبه انه يأخذ شكل الإناء الذي يحتويه[٢]، ولدينا في العراق طائفة الصابئة الذين يعيشون عند مجاري المياه فالماء عندهم مقدس ،وربّما تعود جذور هذه الديانة الى يوحنا المعمذان الذي كان يعمّذ الناس في غور الأردن ، ويبدو أن الصابئة المندائيين يجمعون بين المسيحية والإسلام ، فهم يأخذون من يحيى ابن خالة المسيح ، الذي هو يوحنا ((هل انبهاري بالماء الجاري له علاقة بجذوري ربما كان أسلافي من المغتسلة أي الصابئة المندائيين ؟ هكذا ينتابني الشعور كلما مررت بماء جار وربّما لهذا السبب وجدت في مدينة هيروشيما ملاذي ومتعتي بل كنزي الحقيقي))[٣]والمسألة أن التقلّب المائي انتقل الى باسم ، فهو ينتقل بين بلدان كثيرة ، ولا يدين بأية ديانة وكل بلد يقيم فيه يتغلغل في عمق الحياة الاجتماعية حتى يبدو انه واحد من أهل ذلك البلد فهو مرة نيوزلندي ، وتارة إكوادوري ، وأخرى ياباني ،وسوداني ، ويضربه الحنين فيحط قرب الفرات في (طويريج) ، هذه التعددية الإنسانية ، وهذا الطواف في العالم ، الذي يقوم به رجل مهزوم ، لكنه ذو عزيمة مردّها الى ذلك الماء الصابئي الذي ينتمي إليه ، فالصابئة يغتسلون على مجاري المياه ،ويبنون بيوتهم عليها محاولة منهم لاستعادة تلك اللحظة التي كانت فيها روح الله ترفّ على المياه في بداية الخلق كي يلامسوا الخلود أو القداسة ، ولعل الكائن السير ذاتي إذ يحنّ الى المكان المائي فو حفيد أولائك الذين صادقوه وقدّسوه ، وسكنوا قربه لعل روح الله إذ تتجلّى فيه تمنحهم القوة والخصب والديمومة والخلود(ولكن هل ارتويت من مكاني الأثير؟ كم كنت أتمنى أن ارتوي وأشفى من حنيني الى هذا المكان ، ولكن هيهات الفرق هو أنني الآن املك صوراً لي في المكان ،وأخرى للنهر الذي منحني اسمه حتى شعرت انه أبي))[٤] لا بأس أن نقول الكائن السيرذاتي في هذا النص قد رسم حنينه الى الفرات بطريقة حسّية فنلحظ الدوال (ارتويت أرتوي أُشفى) ليختصر جماليات العطش والشوق الى أبيه الفرات ،ولا ينسى أن ينبّهنا أن اسمه يقترن بالفرات بالتضايف (باسم فرات) ليضمن الالتباس بالمكان المائي ، محوّلاً الفرات الى مركز للإشعاع .فهو ذلك الصابئي الذي يفتّش عن مصبّات الأنهر يقيم عندها أو يمرّ فوقها بدراجته مستعيداً ذلك العبور فوق الفرات ،ملتحماً بتاريخ الأنهار مشاركاً الناس أنهارهم في كل أرجاء المعمورة ، محاولاً إنتاج حساسية مائية ، فالماء مانح الخصب والنماء والحياة الكريمة ، إضافة انه مسكون بالدهشة

---

[١] -زوكالو: أدونيس ، دار الساقي ط١ بيروت ٢٠١٤ :١٥

[٢] شعرية الماء :ياسين النصير،دار سردم ط١ السليمانية العراق ٢٠١٢: ٧

[٣] - دموع الكتابة :١٢٢

[٤] - دموع الكتابة : ١٢٥

والاحتمال والتقلّب والخطورة والموت ((حين عدت للعراق في الثامن عشر من أيار ٢٠١١ قطعنا الصحراء باتجاه كربلاء مباشرة وهذا الطريق حرمني من رؤية الفرات وجسره))[١] نستنتج من ذلك أن شوق باسم الى الفرات وكلامه عنه بهذه الطريقة هو مرافعة ضد العطش والحرمان ، إنه يلمّح الى طفولته التي غاب عنها الأبوان فصار الفرات هو الأب البديل ،ومن المهم أن نقول هنا إن باسماً يقدم نفسه كائناً فراتياً مائياً ضاربة جذوره في عمق الشطوط ،فهل خرج باسم من العراق ليفتش عن الأنهار؟لقد كان الكائن السيرذاتي مسكوناً بالماء أينما ذهب ومسكوناً بالبحث عن الذات بالسفر فانقسم بين عالمين ، الآخر الذي يريد أن يكتشفه ، والعراق الذي هو مادة الشوق والكتابة معاً ، وأنشودة العودة ، فقد كان معي في ٣١-٧-٢٠١٥في شارع المتنبي في بغداد فقال لا أريد العودة الى نيوزلندا انه مكان بعيد ، فإذا ذهبت لا أستطيع العودة الى هذا الشارع الذي لم أجد له مثيلاً في العالم [٢]

٣- عمّان :مرايا التماهي .... تداعيات الهوية

عمّان من الداخل هي غيرها من الخارج والذي يمرّ بها سائحاُ غير الذي يقيم فيها ، فعمّان ذات الجبال السبعة ، بجوها المعتدل ومائها القليل وزعترها وكنافتها بتعدديتها فهي مزيج من الأردنيين الذين ينحدرون من أصل فلسطيني والأردن أهل البلد ، إلّا أنها مدينة ، لا عمل فيها ، سائرة باتجاه الاستثمار والعولمة ، فقراؤها يعيشون دون مستوى خط الفقر ، تنهض فيها عمارات بيض شاهقة ، وشوارعها تكتسي بأشجار متوسطة الطول ، وعمّان الغربية أكثر حداثة من الشرقية ، تتسم بغلاء المعيشة إذا ما قورنت بتركيا ومصر والعراق ، وشعب عمان الأردني لا يتفاعل مع الغرباء ، فكأنما ثمة استعلاء على الوافدين ، لغتهم مزيج من اللهجة العراقية العامية والخليجية والمصرية ، وهي محطة للعراقيين الذين يرغبون بالتسجيل في(UN) أو هرباً من الحروب والطائفية ، وعلاقة العمانيين بالشعر باردة فشعراء عمّان عندما يقيمون حفلاً توقيعياً لكتبهم يذهبون الى مدينة الزرقاء ، وتودّ مقاربتنا هذه الوقوف على المشهد السّيريّ لباسم فرات في عمّان(المكان المحطّة) مستثمرين التفاعل بين مادة القراءة والذات القارئة لتصبح القراءة إنتاجاً جديداً للنص الأدبي ((كانت عمّان محطّتي الأولى حيث الاختلافات التي حسبتها كثيرة وبعضها غريبة عليّ أنا الغشيم وجدتني اندمج معها ، وحين قدمت على المفوضية السامية لشؤون اللاجئين وقابلت الوفد النيوزلندي بدأت اشعر بألفة المكان أكثر وتملكني قلق الفقد))[٣]يؤشر هذا النص أن عمّان لم تكن محطة وحسب بل كانت وطناً احتضن الشاعر أربعة أعوام من هنا نجد أنّ السارد سرعان ما يندمج بالمجتمع العمّاني كاسراً أفق التوقع بعبارة : أنا الغشيم أي قليل الخبرة ،بتناغمه مع المجتمع الجديد فلم يشعر كثيراً بالغربة فمازال الذين حوله عرباً ،وبذلك ينفتح النص على التشبث بالمكان والخوف من مغادرته ، فتخيم مفردات الألم كالفقد والقلق على فضاء النص ،رغم انه سيرحل الى

---

[١]- دموع الكتابة : ١٢٤
[٢]- حوار مع باسم فرات أجراه الباحث في ٣١-٧-٢٠١٥
[٣]- دموع الكتابة: ١٠٧

بلاد متحضّرة ، لكن باسماً شاعر عربي ويخشى أن يتماهى مع المجتمع الجديد ((كانت مرحلة نيوزلندا في بدايتها في غاية الصعوبة فالأردن لا يحتاج مني إلى لغة بل يحتاج إلى تعلّم لهجة وتحولت الأردن في نيوز لندة الى بلد مشابه للعراق ففي حين كنت في الأردن أبحث وأتقصى كلّ اختلاف حتى أنني رأيت اختلافات شاسعة حتما افتعلت بعضها، وضخمت غالبيتها ، جاءت نيوزلندا لتريني التقارب الكبير بين العراق والأردن لدرجة أن الأنشودة "بلاد العرب أوطاني" أصبحت في المنفى الجديد حقيقةً ،من ناحية الحنين الى الأردن))[١] وإذا ما حاولنا متابعة توزّع الذات الساردة بين المكان الأردني والمكان النيوزلندي فسنلحظ أن النص ظل مستجيباً لقضية التوزّع بين المكانين محمّلاً بكل شحنات الحنين الى المكان العربيّ وتفاصيل الحياة فيه ، المكان الأردني الذي صار بديلاً للمكان العراقي ، الذي نزح منه الكائن السير ذاتي ، ومما لاشك فيه أن المكان الأم يلاحق النازح الى مكانه الجديد ، ويظل منتقلاً معه حيثما ذهب ، فقد رافقت البصرة سعدي يوسف الى الجزائر ودمشق رافقت نزار قباني الى لندن ، وجيكور رافقت السياب الى بغداد والكويت وباريس ، ومنارة الحدباء غفت في ثياب ذنون الاطرقجي وهو في عنابة الجزائرية ، وبذلك يفصح باسم فرات وهو يتوزع بين المكان العربي والغربي عن أصالة الشعور العروبي لديه فالعروبة انتماء ولا تعني بالضرورة من دعا إليها من الناصريين والبعثيين إبان الخمسينات ليفهم باسمُ فرات العروبة دون أن يتهشم حبّه بذكرى حكمومة ، أو نظام متناغما مع نشيد بلاد العرب أوطاني ، فالعروبة ليست عشرة آلاف شخص إنّما هي مساحة تمتد من البصرة الى وهران ، وبذلك يكون المكان العربي قد مارس على باسم حضوراً فادحاً ، وضمن مونولوج الاسترجاع يبلور النص فضاء من الشحنات العروبية ففي نيوزلندا اكتشف السارد أنّ ثمة تشابهاً كبيراً بين الأردن والعراق ، وعليه عندما قلنا في أحد مفاصل هذه الدراسة أنّ عمان مكان طارد فهو لا يكون كذلك إلّا إذا قورن بالعراق ، وبذلك أصبحت عمّان مكاناً حميماً عندما غادرها الكائن السير ذاتي إلى نيوزلندة .

المبحث الثاني : شعريّةُ السفر

المحور الأول :انشطار الذات بين الثبات والمغادرة

المحور الثاني: استعادة الماضي : فعل الاستعاضة

المحورالأوّل : انشطار الذات بين الثبات والمغادرة :

الكائن الثابت ينخلع منه الكائن المغادر فمنذ وقت مبكر نجد باسماً متورطاً بلعبة الانخلاع هذه ((كثيراً ما كنا نناقش التجربة وأهميتها في حياة المبدع وخصوصاً الشاعر حيث هي الهمّ الأقرب لنا والسفر ربّما يتصدر مصادر التجربة))[٢] ثمة تلميح الى تجارب السفر التي كانت لها أهمية في

[١] ـم،ن :١٠٨
[٢] ـ دموع الكتابة :١٠٥

تجارب الرواد فعبد الوهاب البياتي كان يعدُّ نفسه سندباداً ، ونزار قباني غباره تناثر على القارات، ومغامرات حسين مردان في أوربا التي كان يسافر إليها بالقطار، وحضور الشعراء العرب ما بعد الرواد درويش ، ولميعة ، وأدونيس لمؤتمرات الشعر العالمية ، وقد اكتشف أبو تمام هذه المعادلة من زمن بعيد ، إذ وجد أن الشعر في أعماقه سفرٌ ، فزرع كل هذا بذور شعرية السفر في الجيل اللاحق ومن الخطأ أن نفترض أن عدوى السفر انتقلت إلى باسم عبر قراءاته الشعرية ، إلاّ أننا لا نستبعد مثلا أن خبر حضور البياتي مؤتمر العمال العالمي كان يبهر الشعراء الشباب ، فقد لا يكونون مبهورين بقصيدته بقدر الانبهار بسفره وتجواله في العالم ، فضلاً عن أن السفر يساهم في انتشار الشاعر؛ فالبياتي معروف في روسيا أكثر من السيّاب ناهيك عن تجارب التحرر التي يفتقدها الشاعر في بلده ((وكم تمنيت وأنا اقرأ عن حياة المبدعين وتنقلاتهم أن تكون لي تجاربي الخاصة بالسفر))[١]وتشير عبارة (كم تمنيت) المتكونة من (كم) الخبرية والفعل الماضي إلى اقتناع السارد بضرورة السفر كي يظل شعره نائياً عن النسيان ممارساً البقاء وكأنه لا يستطيع إغناء تجاربه الشعرية والإنسانية إلّا بالسفر، وضمن هذا المفهوم سوف نأتي إلى مسألة الثبوت والمغادرة ونعني بالثبوت اطمئنان الذات الشاعرة الى ما تملكه من تجارب وثقافة يقنعها أن ما لديها يكفي ، فهي تدور على ذاتها ، ولا تقترب بأي شكل من الأشكال من المغامرة ،أمّا المغادرة فهي نقيض الثبات وركوب التجريب والقلق والتطلع الى هبوب رياح نقية على النص قاطعاً كل الجذور، مكتشفاً أصقاعاً بكراً ، ويتمخض عن ثنائية الثبوت والمغادرة شاعران الأول يولد ويموت في مكان واحد مثل حبّة القمح ، والثاني رياح تحمل الطلع الى الأرض الجديدة هو (كولومبس) الشعر وما يعنينا هو الشاعر الثاني بكل تأكيد ؛ لأنّ تكوين الرؤية /الرؤيا المتفردة لا يتم إلاّ بالرحيل والإطلاع على ثقافات وعوالم ورؤى أُخر مختلفة ؛ لتواجه الذات الشاعرة تحدياً جديداً يخلق معاييرَ جديدة تعيد فيها تقييم تجربتها أو النظر إليها من زاوية جديدة ، وبذلك يصنع القلق لدى الشاعر مزيداً من تعدد الأشكال والانزياحات التي تؤدي إلى زيادة الكثافة الشعريّة محاولة تغيير المتداول والشائع، ومما لا شك فيه أنّ الشاعر القلق سيعيش كثيراً وسيموت الشاعر المطمئن ، أو يُنسى ، والشعر في النهاية يخذل من لم يجعله هوساً وهمّاً يومياً ، وتؤشر عبارة ((أن تكون لي تجاربي الخاصة بالسفر)) [٢] إلى الرغبة بالانسلاخ عن تجارب الآخرين في السفر والاكتشاف والرغبة((في ارتياد الآفاق واستعادة المغامرة من باب نيل المعرفة مقرونة بالمتعة وهي إلى هذا وذاك تغطي المعمورة في أربع جهات الأرض وفي قاراته الخمس))[٣]ومما يميز رحلته عن رحلات الآخرين إنها انطلقت من الأردن الى نيوزلندة فاليابان فلاوس فكمبوديا ،ولعل الولوج إلى قلب كمبوديا ومواجهة المخاطر يعيد الى

[١]- م.ن :١٠٥
[٢]- دموع الكتابة :١٠٥
[٣]- مسافر مقيم :باسم فرات ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط١ بيروت ٢٠١٤ :١٠

الأذهان صورة الرحالة العربي المغامر، ولا بأس أن نقول معظم رحالات الشعراء العرب الرواد كانت الى البلاد الآمنة في أوربا فلم ينقلوا لنا إلاّ الجميل والممتع ، ولممارسة اكبر قدر من الحرية ، لكن تبدو رحلات باسم صورة طبق الأصل للتجربة فيفتح بذلك الأبواب لركوب الخطر ((كانت رغبة السفر والتنقل تشتعل في أعماقي)) [١] يخيم جو المغادرة على مسار البوح فهذه الرغبة في الرحيل كان يغذيها جو العراق المشحون بالحروب والتصفيات وقلة فرص العمل أضف الى ذلك حياة باسم المتشحة بالوحشة والفقد واليتم ، والانشغال بالسفر والمشاهدات يمحو هذه الوحشة ، ولعل الرغبة في اكتشاف اكبر عدد من العوالم والحيوات والثقافات هو اكتشاف اكبر كم من الذات ، فالسفر والشعر يحققان الذات ، ويمكنان الذات الشاعرة من تفادي الثبوت الذي يعيد الصور الموجعة ذاتها في ساحة مابين الحرمين والشهداء في المغتسل والتوابيت الملفوفة بالعَلم ، لقد أراد باسم من عملية السفر الطويلة هذه إيجاد منافذ كثيرة للهروب من المكان الذي أثّر عليه في طفولته ، أراد أن يجابه مآسيه بالنسيان ، بالإنشغال بالمشاهدات التي يتيحها السفر، وباسم مصاب بداء الشقيقة لكنه لا يكفّ عن التجوال ، جاء إلى النجف لزيارة أهله لكنه لم يكفّ عن زيارة المتنبي في بغداد والوقوف على الفرات قرب قضاء (طويريج) وبعدها الرحيل الى الأردن كي يلقى هناك الشاعر فارس مطر، وأصدقاءه الشعراء، ويرى عمّان المحطة الأولى للسفر لينتهي به المطاف في السودان ، ولم يرتح هناك فأنت تجده مرة يشارك في عرس سوداني وتارة يزور أهرامات سودانية ليست ذات شهرة كالأهرامات المصرية ؛ وبذلك يقود تجربته في السفر الى التفرّد ((كنت كلما تأملت تجربة مبدع مهم وجدت السفر أحد العناصر التي كونت شخصيته وأثرت نتاجه الإبداعي فتحوّل السفر الى هاجس تغذيه طبيعتي ذاتها الخجولة المترددة لكنها الوثابة النزقة والضجرة من الاعتياد على شيء لفترة زمنية طويلة ، القوية في الأهم والمصيري والضعيفة في الهامشي والعابر. حذري أن استنسخ تجارب الآخرين وأتحول الى رب أسرة كثير العيال)) [٢] ففي الاغتراب والمدن البعيدة تتمخض ثنائية البقاء والرحيل ،يلتفت الى شكل البقاء في الماضي في وطنه التي لم تغب صورته الدامية عن ذاكرته ، وبين البقاء والغياب دشّن باسم خطاب مشهده وبذلك استطاعت الذات الشاعرة أن تتخذ لها منطقة شعرية خاصة بها أرضها الجغرافيا وما تغرسه فيها أحلام سائح متجوّل لا يرسم لنا خرائط نستدل منها على مساحات مجهولة كما يفعل السائح التقليدي ، بل يقوم بعملية تفكيك لمكونات القارات التي مرت فوقها قدماه وإعادة تركيبها من خلال عناق مخيلته الشعرية مع عالمه الارضي [٣] و(موتيف) السفر الذي يتكيء عليه باسم في اغلب قصائده ،محاولة للهروب من شكل القصيدة فالسفر يدفعه دائما الى تغيير تقاناته ، والهروب من تكرار صور الحياة

[١]ـدموع الكتابة :١٠٥ـ
[٢]ـ دموع الكتابة : ١٠٥ـ١٠٦
[٣]ـينظر الرائي :اعداد وحوار ناظم السعود، دار الحضارة ط١ القاهرة: ٥

في حالة البقاء في مكان واحد،هو البحث عن فضاءات متحررة، تقاوم فضاءات الدموع والخسارات والفقدان ، وماض كان عرضة دائما للمحو والمصادرة((اعود للبيت ليلاً مشياً على الأقدام حيث لا تسمح ظروفي المادية أو النفسية بالصعود في سيارات الأجرة) [1] المكان العدائي هنا يدفعه الى البحث عن أماكن حميمة جاذبة ، يتصالح معها ، ولو الى حين ،فيحاول اكتشاف أماكن أخر تبعده عن مارثون الحزن الذي كان يمارسه في كربلاء،المتمثلة بالأزقة المظلمة الموحشة التي كان يقطعها بعد نهار كله مشقة ،مضمخ بصوت معلمه الموجع الذي يخمش الطفولة ، ربما المعضلة الحقيقية تكمن في البيئة الحزينة التي نشأ فيها باسم والتي مصدرها البعيد مأساة آل البيت في الطف ومصدرها القريب إهمال الحكومات العراقية للجنوب ، وحكايات الفقر ، مما دفع العديد من شباب الجنوب ينخرطون في الأحزاب السياسية ، ويتعرضون الى القمع والسجن والإغتيال ،كما حدث لكثير من أقارب باسم فرات وأصدقائه ، فكان لابد من الاستعاضة بأماكن أُخر بعيدة ، لقد أهمل الجنوب حتى صار (طفاً) جديداً، حتى في بغداد ترى الأحياء الشيعية كمدينة الشعب والثورة والحسينية تتجلل بالحزن والسواد، بينما الحال غيره في المنصور والأعظمية ، وكأنّما الحزن قدر الشيعة ؛ وبذلك أستطيع ان أقول أن الذات الساردة هربت بذاتها بعيداً عن كل صور الحزن والتدين والتحزب والقومية والشوفينية وعداوة الشعوب ، والذهاب الى دين الإنسانية والتماهي بالإنسان ذاته بوذياً وصابئياً ومسلماً ومسيحياً ، شرعته الحب أينما ذهب .

المحورالثاني :استعادة الماضي : فعل الاستعاضة

السفر يولّد الفعل الاستعاضي كذلك الفقدان ، وتوديع مكان الطفولة ،يحدث تراكماً من الحنين الى المكان((حين ودعت الطفولة حالماً بالسفر والترحال لم أجرؤ على البوح لأحد)) [2] فثمة أماكن ستلاحقه الى هناك ،حميمة أحنت عليه ، جدران وشوارع وأرصفة وشبابيك ،وحبٌّ ووجوه كانت تشكّل ذاته ((استرجعت عبق ملكة الليل ، أو مايطلق عليه باللهجة العراقية الشبّوي وهذه الشجرة التي حين كنت طفلاً في الثامنة من عمري واعمل في صناعة الأحذية ،وفي التاسعة اعمل في بيع الأكفان وكل مستلزمات الموت والعبادات وأعود في الليل مشياً على الأقدام....كانت هذه الشجرة حين أمر من مكان ما..... تعطف على الطفل اليتيم))[3]تصبح أشجار العالم هي المعادل الموضوعي لأشجار كربلاء ، لقد هاجر ألوف الشباب العراقيين الى الغرب وتماهوا به ومعه ، ومِن هم من ذهب شاعراً ولم يعد كذلك بل نسي العربية أيضا لكن باسماً قاوم عملية التماهي هذه بشتى الطرق ،منها الاستعاضة التي يمارسها في الفلاش باك فأشجار المنفى تظلله لكنها لا تعوضه عن أشجار الوطن ،التي يعود إليها إذ يردد: شجر الليل أو في اللهجة العراقية الشبّوي

---

[1]ـدموع الكتابة :١٧٥

[2]ـ الحلم البوليفاري رحلة كولبيا الكبرى: باسم فرات دار الحضارة ط١القاهرة:٢٠١٥: ٤

[3]ـدموع الكتابة: ١٧٥

رفيق الطفولة ،الذي أحنى عليه يوم تخلى عنه أهله ، سنين ضوئية من الرثاء يقطعها باسم فرات عبر الشجرة التي تفتح حواراً مع الطفل اليتيم ، تراه كان يتحدث الى شجرة الشبّوي ،يستعيض بها عن أمّه ، ثم هذه الزيارات الكثيرة لكربلاء ألا تنم عن تشبث بالوجع القديم ،وبالبداية ((البداية لم تنسل غير نفسها))[١] انه طفل يتناسل من طفل وسلسلة طويلة ، ومحاولات مستمرة لخلق مساحات واسعة من الحلم على طريق لا ينتهي من رحلة الاكتشاف ،والذهاب الى الآخر،فرات الآخر وشبّوي الآخر وطفّ الآخر في هيروشيما ، لذلك تجد الكائن السيَري يعود إلى بداياته دائما ؛ لتصبح عاصمة الدمع كربلاء عاصمة الدنيا ، وجسر المسيّب أهم من جسر واترلو والزمالك ، وجسر عمان المعلّق ، ووجه كربلاء الملفّع بالحزن أهم من" كان" و"كابري" وكل مدن الفرح ، فهل استطاع باسم بعد كل هذا أن يكون عصفوراً هجيناً مصنوعاً من الحزن والفرح؟وفي الحقيقة أن ثيمة المراثي لم تفارق مسيرة الكائن السيري ((ان ميراث الألم والانهيارات صبغ أيام الشاعر بلون عباءة أمّه الأسود)[٢] لكن العصفور الفراتي حاول أن يطير الى عواصم الفرح ؛ لنسيان عاصمة الحزن كربلاء ، ولاشك ان الكائن السيري كان يدرك مسألة التهجين هذه التي سيكون الرحيل طريقاً اليها((غريب في أقصى جنوب الجنوب لا لغة ولا أهل ولا ولا ..))[٣] هذا ما واجهه باسم في نيوزلندة "الغربة" التي لم يحسب لها حساباً وهو في كربلاء يحلم بالرحيل على غرار سعدي يوسف وسركون بولص ،والبياتي ممن كتبوا عن إسفارهم في سيرهم الذاتية ، والدور الذي لعبه السفر في قصائدهم ، ومما لاشك فيه ان باسماً كان مبهوراً بتلك التجارب ، ومارثون المنفى الذي سلّطه البياتي ، ونزار قباني ، وبلند الحيدري وأدونيس على رؤوسنا ، ممن كانوا يعيشون في بحبوحة من العيش هيأته لهم سفارات بلادهم ، ولم يعرفوا الغربة كما عرفها باسم فرات ، وعبد الأمير جرص ، وعلي السوداني ، وفارس مطر، وغيرهم من الشعراء الشباب الذين نفدت نقودهم فماتوا هناك على رصيف العازة ، لقد غنى هولاء للوردة وهم في قمة احزانهم وظل باسم ((بين الصعود الفردوسي والنزول الارضي))[٤] ذاهباً الى أصقاع جديدة ، مازجاً بين الرحيل والبقاء ، والحزن والفرح ، والهاوية والنجاة((من اجل نجاح الشعر ورسالته فبقدر ما يتدفق الماء من ينابيعه تتسارع الأشجار العالية للاقتراب من صفائه)) [٥]وبذلك يحاول الكائن السير ذاتي أن يمدّ أصابع الحزن الى الفرح ، وأصابع البقاء إلى الرحيل من أجل أن يعيش هذا الكائن الذي اسمه الشّعر، وبذلك نستطيع أن نستنتج أن باسماً حاول أن يهرب من الحزن العربي إلى الفرح الغربي أو يمزج بينهما ((أعود لجسر الصداقة الذي طالما

---

[١]- الطين والتدوين في انا ثانية من كتاب باسم فرات في المرايا : وديع شامخ ،دار التكوين ط١ دمشق ٢٠٠٩: ٢٦٨

[٢]- شعرية الذات في فضاء الإبداع :كاظم ناصر السعدي ، من كتاب باسم فرات في المرايا : ٢٧٣

[٣]- دموع الكتابة : ١٠٨

[٤]- باسم فرات الى النثر الجاد : وجدان عبد العزيز من كتاب باسم فرات في المرايا :٣١٣

[٥]-الكتابة عن باسم فرات حب يتعدى خاتم الكلمات ،من كتاب باسم فرات في المرايا :٣٩٩

قدت دراجتي الهوائية وعبرته للتسوق أو التنزه فإجراءات التنقل ليست معقدة وتجربتي فيها أوضحت أن التنقل بالدراجة الهوائية أسهل من السيارة كان شعوري مزيجا من الفرح الطفولي والدهشة ، والانتصار على تجربة عبور الحدود المؤلمة في بعض بلداننا الناطقة بالعربية))[١] ومما يلفت الانتباه تواتر دوال (الجسر العبور) في سيرته الذاتية دموع الكتابة ((كنت اعبر الحدود –الجسر وانا منتش بجمال الطبيعة والنهر المتدفق)[٢] فقد يكون ذلك له علاقة بالطفولة ومحاولة عبور الانهار بواسطة الجسور مما دفع الكائن السير ذاتي الى فعل الاستعاضة فيما بعد والامتعاض والاحتجاج على كل من يمنعه من ذلك ، وقد يكون عبور الجسور على الدراجة الذي مارسه الشاعر في الطفولة هو نوع من السفر الى الجهة الأخرى أو العبور الى الآخَر؛ وبذلك يمكن أن تصبّ موضوعة السفر في (دموع الكتابة) في اتجاهين اثنين:

الاتجاه الأوّل: السفر الطفولي :عبور الجسور

الاتجاه الثاني: السفر وتجلّيات السعي الى منابع المياه

الاتجاه الأوّل : السفر الطفولي :عبور الجسور

الشّعور بالفقدان والخسارات الفادحة في الطفولة ، وتراكم الشعور بالمحنة ،كلّها محفزات للعبور الى الضفة الأخرى البعيدة وقد كان ركوب الدراجة (البايسكل)في اللهجة العراقية العامية ،وعبور الجسور يشكل للكائن السيرذاتي نوعاً من تعويض الخسارة والفرح والانطلاق ، والإنسان في الجنوب العراقي هو كائن مائي(أنا ابن حضارة نهرية) والكائن المائي بطبيعة الحال تظل تربطه علاقات حميمة بالجسور والشطوط ومياه الانهار ، كما أن البيئة الجنوبية العراقية ترتبط حياتها بالماء فهو بطريقة أو بأخرى يشكل مصدر رزقها ،فمما لاشك فيه أن الانسان في هذه البيئة ينشأ محبّاً لمجاري الماء ومنابعه ،فهو يمكن ان يستقر ويسن القوانين إذ ((نشأت في الجنوب من العراق ثلاث حضارات كبرى: السومرية ومداها أهوار الناصرية وميسان وقد طلت على الخليج من خلال سفنها القصبية الكبيرة ، الأكدية حيث امتدت قليلا الى الشمال الديوانية وجنوب الكوت ، فاوجدت بين الماء واليابسة مزاوجة أبقت على شواهد مكانية ، والبابلية حيث موقعها الى الشمال أيضا من الحضارتين فكانت بابل مكانا احتوى الماء والأرض تاركة الى الآن بعض معالمها القديمة، وخلال هذه المرحلة التصاعدية من الجنوب الى وسط العراق نما إحساس بأنّ الماء كان وما يزال مهد الحضارات))[٣] وبذلك نستطيع أن نقول إن باسماً يسعى الى الماء ليتوحد به ويتماهى معه ، فهو يضع عنواناً لأهم دواوينه الشعرية: بلوغ النهر ولكتابه: الوصول إلى مشرق الشمس فهو مولع بدوال (البلوغ والوصول) عبر مارثون كلكامشي طويل ((فباسم فرات ليس مجرد رحالة جواب يكتب

---

[١]- دموع الكتابة:١٢٣

[٢]-دموع الكتابة:١٢٤

[٣]- شعرية الماء :ياسين النصير،دار سردم ط١ السليمانية :٧

أدباً للرحلات ، والوقائع والأمكنة التي يمرّ بها ، أو تمرّ به لكنه يحيل هذه الأماكن إلى بنيات نصية وتعبيرية وحتى سايكولوجية ووجدانية تتماهى إلى حد كبير مع خزين التجربة الذاتية والزمكانية التي شكلت وعيه الشعري))[١] وفي رحلة الوصول والبلوغ كان يعني الوصول إلى الشعر أو إلى ذاته ، ويبدو أن السفر عند باسم قضيةٌ ترافع عنها طويلاً كي يربحها وصولاً إلى الكتابة الجيّدة فهو يريد أن يكون قطاةً تأتي في الصيف ، وترحل لا شجرة تنبت في مكان واحد وتموت فيه ، الّا انني أرى باسما وهو يكتب سيرته وعلاقته بالسفر والمدن والشعر يبدو متسرعاً فهو يصف "دموع الكتابة" بأنها مقالات ؛ فلم يعمد إلى كتابة سيرة ، بل جمع مقالات عدة وسمّاها سيرة ، وهذا ما أوقع باسماً في أخطاء فالسيرة تحتاج إلى ميثاق ، شخوص ، وأماكن ، حقيقية تروي تتكلم ، ويمكننا أن نلحظ الأسلوب المقالي عنده ((بفضل هذه القراءة كوّنت نظرةً خصوصية فلم اقتنع بحق تقرير المصير وأراه كذبة أطلقها رجل هو ذاته ابعد الناس عن هذا المفهوم ، فرئيس الولايات المتحدة لم يمنح حق تقرير المصير للشعوب))[٢]هذا كلام نستطيع أن نضعه في خانة المقالة السياسية ، ولا يفتح باباً ما على حياة باسم أو شعره ، لكن قد تكون ظروف السفر وسرعة الانتقال والترحال الطويل –فقد رأى باسم عشرين بلداً– لم تمنحه فرصة الاستقرار والحوار الطويل مع الذات ، كي يتسنى له أن يجلس ليلقي الأسئلة على حياته الماضية ويحلل ويستنتج ((وبما ان الكتاب لم يتم تأليفه في البداية بقصدية كي اضع خطة له حيث كان عبارة عن مقالات لم افكر جمعها في كتاب الاّ مؤخرا)) [٣] وبذلك يعترف الكاتب أن فكرة الكتاب السيَري جاءت متاخرة ، وقد وددت لو أن باسماً توسّع في حديثة عن تجربة السفر التي خاضها وكشف عن تابوات المدن التي عاش فيها ، وتاثير ذلك على شكل القصيدة عنده ،فهل كانت القصيدة في المرحلة اليابانية تشبه القصيدة في المرحلة النيوزلدية ؟ وقد انتبه باسم الى هذه المسالة النقدية الاّ انه لم يقف عندها في سيرته أو لم يُعرها أهمية بحيث يأتي السفر متناغماً مع القضية الشعريّة ومسخّراً لها وتاركاً أثره فيها ((أخذت قصيدتي منحى آخر بعد مرور عدة سنوات على تواجدي في نيوزلندا، أصبحت تبتعد عن الطول وتميل إلى التكثيف وأخذت الحياة والطبيعة النيوزلندية تتسلل إليها، فكانت مفردات مثل : طائر الكيوي، شجرة البوهوتوكاوا، الأمكنة والآلهة الماورية. ثم كتبت قصائد كاملة عن نيوزلندا أو أماكن فيها مثل: هنا حماقات هناك .. هناك تبتختر هنا، وهي قصيدة مقارنة وحنين مقارنة بين العراق ونيوزلندا ومحاولة إيجاد شبه يذكرني بالعراق لأتصالح مع المكان، ثم قصيدة جبل "تَرَناكي" وقصيدة "شيءٌ ما عنك .. شيءُ ما عني" وهي عن العاصمة، وأظن أن هذه القصائد تعدّ تمهيدًا إلى قصائدي في اليابان) [٤] وبذلك نستطيع ان نستنتج ان المرحلة النيوزلنية خلّصت قصيدته من

---

[١]-عندما يتماهى الشاعر مع المكان :فاضل ثامر من كتاب الرائي :٩٧

[٢]- دموع الكتابة: ٩٩

[٣]- دموع الكتابة :٦

[٤]- حوار أجراه الباحث مع الشاعر في ١-١٠-٢٠١٥

الترهل وأدخلته مرحلة التكثيف والمرحلة اليابانية التي أنهت عنده الحزن الكربلائي،وكان يستطيع أن يورد شواهد شعرية للتكثيف وشواهد أخر لانتهاء مرحلة الكربلائيات شواهد شعرية لاعنوانات قصائد ، ثمة عشرون بلداً وطأتها أقدام باسم ولكن سيرته تمرّ بها سريعاً وكان يستطيع أن يقف طويلاً عندها موضحاً تواشج تلك الأماكن مع تجربته الشعرية بدلاً من الحديث عن تاريخ العراق والقومية ، والشوفينية ،إذ كان بوسعه أن يترك ذلك للمؤرخين ، فمما لاشكّ فيه أنّ المكان يترك أثره في الشعر، فالجزائر تركت أثرها في شعر سعدي يوسف ، فنجد في شعره عبارات مثل الخبز الهلالي ويطلق على السمك تسمية الحوت ويسمي ديوانه (الأخضر بن يوسف) ومشاغله ،ممّا يتواشج تماماً مع البيئة الجزائرية ويتماها معها ، وسعة بلاد الجائر تركت أثرها أيضا على شكل القصيدة ، إذ إن قصائد الأخضر بن يوسف تتسم بطول العبارة ، ولاشك أن باسماً انتبه إلى هذه المسألة النقدية ، فهو يؤكد أنّ أسماءَ وأماكن ودوالاً لغوية وجدت سبيلها إلى شعره لم يألفها في العراق والأردن ، لكنه لم يوضح –الغريب الذي صار واحدا منهم –كيف صار واحدا منهم؟ أي وقد صار باسم شاعراً نيوزلنديا كيف صار مفهوم قصيدة النثر لديه ،هل يكتبها مثل العراقيين ويلقيها مثلهم فقصيدة النثر عندنا لا تختلف كثيراً عن شعر التفعيلة،هل سيعود باسم ليكتب لنا سيرته بقصد كتابة السيرة ، ويرسم التطور الدلالي لقصيدته وهي تمرّ بعشرات البلدان الأوربية والعربية والآسيوية ،مما يمهّد لامتلاك مفاتيحها ، أو خارطة طريقها الآمنة المفتوحة على مساحات شاسعة من التأويل والاستشراف والمفاجأة .

الاتجاه الثاني: السفر وتجلّيات الحنين إلى منابع المياه:

يُعدّ باسمُ نفسه واحداً من أحفاد الصابئة المندائيين ((أغلق الكتاب وابدأ بمتعة انبهاري بالماء الجاري ،هل انبهاري بالماء الجاري له علاقة بجذوري ؟)) [1]فما علاقة باسم بالصابئة ؟ لقد خرج الشاعر من كربلاء الى العالم ،غزا مدناً كثيرة منطلقاً من طفولة وشباب متعطش إلى الاكتشاف، ذاهباً إلى أقصى حدود المغامرة فمثلما كان مصطفى سعيد بطل رواية موسم الهجرة متعطشاً إلى غزو أجساد البريطانيات كان بطل دموع الكتابة متعطشاً إلى اكتشاف الأرض الجديدة، اكتشاف الآخر ، فاطلع على ثقافات مختلفة وأجاد لغات كثيرة لقد خرج من مرحلة الحزن الكربلائي ورحل عن عاصمة الدمع إلى عواصم الفرح ، فاحتشدت في باسم شخصيات كثيرة اليابانية والنيوزلندية والمصرية والسودانية والآسيوية وتبلورت لديه أفكار جديدة عن القومية والشيوعية والأمة والتدوين والكتابة ،حتى صار متنوع المشارب ،وهنا يلتقي باسم بالصابئة ((فالديانة المندائية من الديانات القديمة التي نشأت من خلال شبكة التفاعلات الفكرية والعلاقات العقائدية التي ظهرت في وادي الرافدين عبر آلاف السنين ، أو كما يرى البعض أنها برزت وتطورت عبر صراع الأفكار والعقائد

[1] ـ دموع الكتابة :باسم فرات :١٢٢

التي ضمتها ديانات وطوائف البحر الميت والمناطق الواقعة على ضفتي نهر الأردن ، إنها الوريثة الحاضنة لأهم تلك التقاليد والمنجزات الفكرية واللاهوتية التي أفرزتها تلك التفاعلات على مدى قرون عديدة))[١] فهو المندائي الذي جاب العالم ليمسك بالمعرفة القلبية ،التي يؤمن بها المتصوّفة ، وقد يكون الشعر معرفة قلبية أيضا مما يتواشج وما يطمح إليه باسم ،كما أن المياه تنتشر في جنوب العراق ،البيئة التي نشأ فيها الشاعر، فكانت المياه رفيقته الأولى((حين عدت للعراق في الثامن عشر من ايار ٢٠١١ قطعنا الصحراء باتجاه كربلاءمباشرة، وهذا الطريق حرمني من رؤية الفرات وجسره))[٢]ثمّة صحراء أخرى داخل الذات الشاعرة تحنّ إلى الفرات مشكلة ثنائية الصحراء الماء ، ويأتي الدال (حرمني) ليكشف عن فضاءات الحنين إلى الماء ،واحتدام الشوق الى الشطوط ، وإذا كانت شطوط البحر الميت ونهر الأردن شهدت ولادة ديانة الصابئة ،فإن شطوط الفرات شهدت ولادة حب باسم لمنابع المياه والحنين الى الجذور المندائية ((ربّما كان أسلافي من المغتسلة أي الصابئة المندائيين هكذا كان ينتابني الشعور كلّما مررت بماء جار))[٣]وان كان الشاعر يسعى الى المياه فإنها كانت في البدء سبب الحياة ((المياه الأولى–المياه البدئية التي وردت في المعتقدات القديمة وكذلك في الديانات الموحدة هي التي تمّ فيها عمليات الخلق والتكوين ومنها نشأت الحياة))[٤] تحاول الذات الشاعرة أن تخزن اللحظة المائية فباسم يأتي من بيئة تحن الى المياه ذلك أن الحسين عليه السلام مات ظمآنا ولقد تماها باسم في طفولته مع قصائد ولطميات رثت عطش ابن بنت الرسول وبذلك يكون ثمة باسم ضمني يحن الى المياه حنينا ممتدا من المندائيين الى ظمأ الحسين وسكينة وآل بيت النبي صلى الله عليه وسلم ((حين عودتنا من بغداد مع ابن خالتي حيث قطعنا تذاكر السفر أبحت له بأمنيتي وبما انه يعمل مصوراً في فضائية كربلاء فقد أوقف سيارته قرب النقطة العسكرية واراهم هويته ليسمحوا لنا بالتصوير هنا كانت فرصتي))[٥] يحاول الكائن السيرذاتيأن يخزن النهر في صورة ليحملها الى الغربة ، انه يفتش عن صباه الذي زرعه هنا في الموج في الطين والضفة ،ليتغذى على الماضي على الآخر الطفل الذي هو باسم ذاته ((لا شئ أكثرأصالة لا شئ هو ذاتك))[٦] وبذلك يتغذى الفتى على طفولة بعيدة صارت أشبه بحلم مضى .هذه الذات أو الطفولة التي عرضها باسم عبر مقالات في السيرة كما يود أن يسميها،فهذا النوع إضافة الى نوع آخر من السيرة يسمّى اللقاء الصحفي الذي يتعرض لحياة الأديب ،والاعترافات صارت كلها تدخل ضمن السيرة الذاتية ، لكن مدى صدق كل هذا وهل هي الحقيقة أم جانب منها؟ ليس

[١]- المندائية أدباً ومعتقدات :سميع داود مطبعة دار العلوم ط١بغداد ٢٠١٣: ٧
[٢]-دموع الكتابة :١٢٤
[٣]- دموع الكتابة :١٢٢
[٤]-المندائية ادباً ومعتقدات :٣٩
[٥]- دموع الكتابة :
[٦]- دفاتر : فاليري : نقلا عن هانت ايها الوقت ادونيس دار الاداب ط١بيروت ١٩٩٣ : ١٦٨

ثمة جواب نهائي لهذا السؤال فنحن في عصر لا يؤمن بالأجوبة النهائية ،فكم من حلم صار اليوم حقيقة من الانترنيت الى التدخل في أجزاء الذرة ،وقد يتوصل العلم ذات يوم الى استعادة صوت القديس أوغسطين لتنقلب كثير من القناعات حول اعترافاته .

نتائج البحث

١- يرى الباحث أن الكائن السير ذاتي العربي لم يخض كثيراً في المسكوت عنه والمحرم ، تفادياً لردود فعل المجتمع الذي يرى الخوض في المحرمات شكلاً من اشكال التشهير بالذات .

٢- وممّا توصل اليه البحث أن المتلقي العربي لم يتبلور فكرياً ، لكي ينتقل الى مرحلة جديدة تؤهله لفهم المسكوت عنه وتقبله .

٣-ثقافة الدولة أو المؤسسة غالبا ما تهمش الكائن السير ذاتي أو ترغمه على طريقة تفكير تشبه طريقة تفكير المؤسسة التي غالبا ما تمثل الثبوت رافضة كل ما هو متغيّر أو متحوّل أو جديد .

٤- يرى الباحث أن استعادة والمكان الماضي وإعادة بنائه من جديد تصعب كثيرا على الذاكرة رغم استنفارها ؛ لذلك يقوم التخيّل بصنع أحداث قد لا يكون عاشها الكائن السيرذاتي أو قد يخيّل له أنه عاشها .

٥-بما أن أحداث الماضي العالقة في الذاكرة قابلة للنسيان فإن الحدث يطفو على سطح الذاكرة حسب أهميته لذلك كان الأداث تُسرد في سيرة باسم حسب أهميتها

٦- يحاول الكائن السيرذاتي في هذه السيرة ان يخزن اللحظة المائية فهو يأتي من بيئة مائية تحن الى المياه ذلك أن الحسين عليه السلام مات ظمآنا ولقد تماهى باسم فرات مع قصائد ولطميات رثت عطش ابن رسول الله وأولاده .

٧-ما مدى صدق كل ما قاله باسم فرات في سيرته هل هو الحقيقة أم جانب منها؟ ليس ثمة جواب نهائي لهذا السؤال ، فنحن في عصر لايؤمن بالأجوبة النهائية فكم من حلم صار اليوم حقيقة من الانترنيت إلى التدخل في أجزاء الذرة ، وقد يتوصل العلم ذات يوم إلى استعادة صوت القديس اوغسطين لتنقلب كثير من القناعات حول اعترافاته .

٨- يرتبط باسم فرات في سيرته بعلاقات حميمة مع الجسور، والشطوط ومياه الانهار، فهو دائم العود الى جسر المسيّب ودجلة والفرات .

٩- ظل الكائن السيري يحنُّ إلى المكان الأم مهما كانت مكتسبات المكان الجديد ، ليتحول المكان الأم الى يوتيبيا لذلك يأتي المتخيل على الأماكن فيصوغها بطريقة حميمة .

ثبت المصادر والمراجع

. القرآن الكريم

. العهد القديم

أوّلاً-المصادر:

١-دموع الكتابة :باسم فرات ،دار الحضارة ط١القاهرة ٢٠١٤

ثانياً- المراجع :

١-تحليل الخطاب النقدي المغامر ، احمد شهاب ،دار الكتاب الحديث ط١ ،اربد ،٢٠١٥

٢- الحلم البوليفاري رحلة كولبيا الكبرى، باسم فرات دار الحضارة ط١القاهرة:٢٠١٥

٣-الخبز الحافي، محمد شكري ،دار الساقي، ط١١، بيروت ٢٠١٠

٤-خطاب الهوية سيرة فكرية ، علي حرب،الدار العربية للعلوم ناشرون ،ط٢بيروت لبنان٢٠٠٨٤

٥-الرائي ، إعداد ناظم السعود ،دار الحضارة ط١ ،القاهرة ٢٠١٠ ٦

٦-زوكالو، أدونيس ، دار الساقي ،ط١ بيروت ، ٢٠١٤

٧-السيرة تاريخ وفن ، ماهر حسن فهمي ،النهضة المصرية ط١ ،١٩٧٠

٨- السيرة الذاتية والميثاق والتاريخ الأدبي :فيليب لوكون ،ت عمر حلي المركز الثقافي العربي ،بيروت ١٩٩٤

٩-شعرية الماء ، ياسين النصير ، دار سردم ط١، السليمانية ،العراق

١٠- عبد الرحمن منيف، مجموعة بحوث المؤسسة العربية للدراسات والنشر،عمان ط١ ، ٢٠٠٨

١١- قصتي مع الشعر، نزار قباني ،منشورات نزار قباني،بيروت ط٤ ،١٩٩٤

١٢- الكتابة والوجود، السيرة الذاتية في المغرب: عبد القادر الشاوي ، افرقيا الشرق ط١ : ٢٠١٥

١٣- محاورات افلاطون عربها عن الانكليزية زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ،القاهرة ١٩٦٦

١٤- مسافر مقيم ، باسم فرات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشرط١، بيروت ،٢٠١٤

١٥-المندائية أدباً ومعتقدات :سميع داود دار العلوم ط١ بغداد ٢٠١٣

١٦- الموقد واللهب ، محمد القيسي ،وزارة الثقافة الأردنية ط١٩٩٤،١

١٧-الموت المتخيل في شعر أدونيس، عبد السلام مساوي ،دارالناية،ط١دمشق ٢٠١٣

١٨-نظرية التلقي ، بشرى موسى صالح ،المركز الثقافي المركز العربي ط١الدار البيضاء ٢٠٠١

١٩-ها أنت أيها الوقت سيرة شعرية ثقافية، أدونيس ،دار الآداب ط١بيروت

ثالثاً : البحوث المنشورة في الدوريات

١-نظرية القراءة والتلقي :جميل حميداوي ،صحيفة المثقف ، ميلانو،ع١٩٩٥، ٢٠١٢

ثالثاً: الرسائل والاطاريح الجامعية

١- الشاعر وذاكرة الطفل في الشعر العربي الحديث : عمر أحمد الربيحات اطروحة دكتوراه ،باشراف سامح الرواشدة كلية الاداب ،جامعة مؤتة ، ٢٠١٠

رابعاً : شبكة المعلومات العالمية :

١- السيرة الذاتية الشعرية البوح والترميزالقهري: حاتم الصكر، متاح على الأنترنيت www.hatemalsagr.net/index.php?action=showDetails&id

خامساً : الحوارات والمقابلات الشخصية

١- حوار مع أدونيس:ماركريد اوبناك ،مجلة عيون ع٦٤ منشورات دار الجمل ١٩٩٨

٢- حوار أجراه الباحث مع الشاعر باسم فرات في ١-١٠-٢٠١٥

٣- حوار أجراه الباحث مع باسم فرات في ٣١-٧-٢٠١٥